(إياكم والغلو في الدين)

أضرحة الأولياء في ميزان الإسلام

تأليف

أسامة بدوي

«مَنْ لَمْ يَسْمَعِ الخِلافَ فَلا تَعُدَّهُ عَالِمًا»

(الطَّبعة الثانية)

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م

رقم الإيداع: ٥٦٢٩ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٨ -٠٤٨-٧٤٢-٩٧٧-٩٧٨

مكتبة البلد الأمين:

تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:

مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤

دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

• قال النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ }.

أخرجه النسائي، ح (٣٠٥٧)، وابن ماجه، ح (٣٠٢٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع، ح (٢٦٨٠).

• قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [التوبة].

• قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ }، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: { فَمَنْ }.

البخاري، ح (٧٣٢٠)، ومسلم، ح (١٥٨١).

• عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: { إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ، وَالمَيْتَةِ وَالخِنْزِيرِ وَالأَصْنَامِ }، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَىٰ بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ؟ فَقَالَ: { لاَ، هُوَ حَرَامٌ }، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: { قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ }.

البخاري، ح (٢٢٣٦)، ومسلم، ح (١٥٨١).

وقفة

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « والله يعلمُ أننا لم نقصِد ببيان غلَطِ الغالِطِ إلا تنزيهَ الشريعةِ، والغَيرةَ عليها من الدَّخَلِ، وما علينا من القائلِ والفاعلِ، وإنما تؤدَّى بذلك أمانةُ العِلْم، وما زالَ العلماءُ يبيِّن كلُّ واحدٍ منهم غلَط صاحبِه، قصدًا لبيانِ الحقِّ لا لإظهارِ عَيبِ الغالِط.. لأنَّ الانقيادَ إنما يكونُ إلى ما جاءتْ به الشريعةُ لا إلى أشخاصٍ، واعْلَمْ أن مَن نظرَ إلى تعظيم شخصٍ، ولم ينظرْ بالدليلِ إلى ما صدَرَ عنه كانَ كمَن ينظرُ إلَى ما جرَى على يدِ المسيح صلوات الله عليه من الأمورِ الخارقةِ ولم ينظرْ إليه، فادَّعى فيه الألوهيةَ، ولو نظرَ إليه وأنه لا يقومُ إلا بالطعامِ لم يُعطِهِ إلا ما يَستحِقُّه » (تلبيس إبليس)، ص (٢١٩، ٢٢٠).

***

• ويقولُ العِزُّ بنُ عبدِ السلامِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أوجبَ الله على العلماءِ إعزازَ الدِّين، وإذلالَ المبتدِعينَ، فسلاحُ العالمِ عِلمُه، كما أن سلاحَ الملكِ سيفُه وسنانُه، فكما لا يجوزُ للمُلوكِ إغمادُ أسلحتِهم عن الملحِدين المشركِين، لا يجوزُ للعُلماءِ إغمادُ ألسنتِهم عن الزائغِينَ والمبتدِعين، فمَن ناضَلَ عن الله، وأظهرَ دينَ الله كان جديرًا أن يَحرُسَهُ اللهُ بعينِه التي لا تَنامُ، ويُعِزُّه بِعزّ الله الذي لا يُضامُ ».

(الملحة في اعتقاد أهل الحق) لسلطان العلماء العز بن عبد السلام.

ص: (١١١).

المقدمة

الحمد لله الذي جعل العزَّة والسيادة في التميُّز بالإيمان والعبادة، وأشهد أن لا إله إلا الله، المتفرِّد بالكمال والجلال والسيادة، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، المتفرِّد بالرسالة الخاتمة، وبالصُّحبَة المتميِّزة، والرِّيادة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد:

فقد اختلط الحابلُ بالنَّابلِ، وذابت الفوارق وزالت، فلم يعد الناس يعرفون الفارق بين الكفار والمسلمين، والمنافقين والمؤمنين، والمبتدعين والمتبعين، وأصحاب الهوَىٰ وأصحاب الهدَىٰ، زالت الفوارق بين كثير من المسلمين وغيرهم، وصار التَّشَبُّه دَيدنَهم ودِينَهم، فكيف تُميِّز إذن بين الطيِّب والخبيث ـ وقد كثر الخبيث وزاد ـ، والأمين والخائن، والمخلص والمرائي، والصادق والكاذب، وبين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة في زمن العَوْلَمَة، وتقارب الزمان والمكان ؟!.

***

سيظل أصحاب الحقِّ قلَّة متميِّزة بالحقِّ، ظاهرة به، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، تعرِفُهم بالحقِّ، فَبِهِ يُعرَفون، ومنه يَنهلون. تواتَرَ الحق فيهم جيلًا بعد جيل، إيمانٌ بلا تبديل، وإسلامٌ بلا تغيير.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم

﴿مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

فاجتمع الإيمان والرضا من الرحمن، واكتمل الصدق بعدم التبديل، وحسن الاتِّباع للسابقين الأولين.

• **شُرُوط السلامة والنجاة:** الإيمان بالاتِّباع، الاتِّصاف بالصدق، عدم التبديل (للعقائد، أو العبادات، أو المعاملات، أو الأخلاق، أو الحدود، أو الشرائع، أو الأحكام)، حُبُّ الشهادةِ في سبيل الله.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ مَذلَّة التبعيَّة بالعِزَّة الإيمانيَّة.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ سُوءَ الأخلاق بالقدوة الحسَنَة.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ التأويلَ بالدليلِ.

• لَا يَسْتَبْدِلُونَ الأهواءَ والأوهامَ باتِّباع الشَّرْع.

لا يحتويهم إلا الوحي، فلا شرقيَّة، ولا غربيَّة، ولا اشتراكيَّة، ولا رأسماليَّة، وحَّدتهم قبلتُهم، غايتُهم الجنة، وطريقهم إليها صراطُ الله المستقيم، وفي أوَّلِه محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذينَ أنعم الله عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضَّالينَ. هُمْ في مَيدان سباقٍ وتنافُسٍ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الواقعة].

توارثوا حُبَّ الصراط المستقيم والثبات على الحق، والتمسُّك بالإيمان، وعدمَ المساومة على الإسلام جيلًا بعد جيل، يُسلِّمونه كما

هو، دون تبديل أو تغيير، وصدق الله تعالى حيث يقول:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وكيف لا، والله سبحانه جعلَ المخرج من الفتنة (فتنة الاختلاف والافتراق على الفِرَق والجماعات والأحزاب) في اتِّباع سبيل المؤمنين، وجعَلَ الشَّتاتَ والتشرذُمَ ونار جهنم في اتِّباع غير سبيلهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { من عَمِلَ عملًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ }(١)، وقال: { فَعَلَيْكُمْ بِسُنتِي وَسُنةِ الْخُلَفَاءِ الراشِدِينَ المهديينَ مِنْ بَعْدِي }(٢).

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الأقضية، ب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح (١٧١٨).

(٢) أخرجه أحمد، ح (١٧١٤٤)، وأبو داود: ك: السُّنَّة، ب: في لزوم السُّنَّة، ح (٤٦٠٧)، والترمذي: ك: العلم، ب: ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع، ح (٢٦٧٦)، وابن ماجه: ك: المقدمة، ب: اتِّباع سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، ح (٤٢)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»، ح (٢٥٤٩).

وقد افترق الناس في هذا الزمان على حلِّ الأزمة الراهنة، والمشكلة القائمة فمِن قائلٍ: نسيرُ وراء الغرب لكي نتقدم كما تقدموا، وفريق آخر يقول: نُخالف الغرب لكي لا تذوبَ هويَّتنا ونكونَ قطعة منه، وثالث يقول: نُداهِن ونُساير لكي تسير أمورنا، ونتجنَّب بطشتهم ونِقمتهم، ورابعٌ يقول: الإنسانيَّة والعَلمانِيَّة، وخامسٌ يقول: الليبراليَّة لا رجعيَّة ولا أصوليَّة، وسادِسٌ يقول: فصل الدِّين عن النظام، وعزل الدِّين عن الدولة المدنيَّة، وسابعٌ يقول: نعيش ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهرُ، وثامنٌ يقول: نخشى أن تصيبَنا دائرة، وتاسعٌ يقول: نحن على مذهب: «أن للبيتِ ربًّا يَحميه»، وعاشرٌ: يلعب ويلهو وما يدري من هو، ولا إلى أين يسير، مبدؤه وعقيدته: «**دَعْ ما لقيصرَ لقيصرَ، وما للهِ للهِ**».

***

• والحقُّ لا شكَّ واحدٌ بين هؤلاء، والبقيَّة على خطأ وسوءِ قصد.

• والحقُّ ما وافق مرادَ الحقِّ عَزَّوَجَلَّ، فمن اتَّبع هُداه فلا يَضلُّ ولا يشقَى، والحقُّ ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدَك؛ لأن مصدر الخَلْق والعِلم واحد. قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ**﴾ [الأعراف: ٥٤].

• والحقُّ ما لاءَم مصالح الإنسان، وجلَب له منافعه، ولا يفرض عليه ما هو فوقَ طاقته وَوُسْعِه.

• والحقُّ لا يتجزَّأ ولا يتغيَّر بالأهواء أو المكان أو الزمان، وهذا من أَجَلِّ سِماته وأظهرِ صفاته وعلاماته.

• والحقُّ ثابت كرُسوخ الجبال الراسيات، له هَيبة وجلال وقُدسيَّة يستمدُّها من الحق عَزَّوَجَلَّ، يهابُه الباطل، ويعمل له ألف حساب حتى لو كان ضعيفًا أو ضئيلًا أو قليلًا.

• والحقُّ لا يحتكِره أحد، ولا يخضع لجنس معيَّن أو لون محدَّد، أو قوم دون قوم، ولكنه أهلٌ لأصحابه والمنتسبين إليه فقط.

• والحقُّ مَن يلازِمُه تَخلُد ذكراه، ويحسُن مَثواه، ويَطيب عيشُه، وتلزَمُه الراحه النفسيَّة، والسعادة الأبديَّة.

• لذلك أردتُّ في هذه الرسالة أن أجمع العِلل والأمراض التي حلَّت بأمة الإسلام، لَمَّا استبدلت الباطلَ بالحقِّ، والهوى بالوحي، والتبعيَّة بالعزَّة، وأصفُ الدواء الشافي الكافي بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فجمعتُ حوالَي مائة مسألة استُبدِلَ بها غيرُها، وَلَبَّسها الشيطان عليهم، ﴿ **وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ٢٠ ﴾ [سبأ].

• وأردتُّ بيان الغُلُوِّ في الدِّين هل عند السلفيِّين أو المتصوِّفين، في مسألة قبور الأولياء وأَضْرِحَتِها التي بالمساجد، وحكم الدعاء عندهم، أو سؤالها، وهل لها علاقة بشِرْك الدعاء الوارد في الكتاب والسُّنَّة ؟

والله أسأل أن نعود مع أمتنا إلى ديننا وهَدْي ربِّنا عَزَّوَجَلَّ، لتعود لنا عزَّتُنا وكرامتنا ورِيادتنا ومجدنا وعُلوُّنا وخيريَّتُنا، إنه سبحانه ولي ذلك، وهو على كلِّ شيء قدير.

وكتب:

أسامة بن محمد بدوي البراجة

«في التاسع من شهر صفر لعام ثمانٍ وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة سيد الأولين والآخرين محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»



البداية:

• كانت البداية مع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، فلم يتركْهُ لجهله يتخبَّط، ولم يُسلِمه لعقله أو هواه فيضلَّ ويشقَى ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة]، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه]

• ثمَّ كان حسنُ الختام مع النبيِّ الخاتم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان أولُ الرسالة ليس أمرًا بالعقيدة أو العبادة أو الحلال والحرام، إنما كان أول آية نزلت في الدِّين الخاتِم تقول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق]،

الأمر بالقراءة، والقراءة باسم ربِّك، والقراءة لتحقيق الغاية من الخلق، والتعلُّمِ عن طريق القلم.

والقراءةُ هي أول الطريق للعلم، وهي روضتُه وجنته الفيْحاء، وبالقراءة يُولَد المرء من جديد، وينتفي عنه الجهل بالتدريج.

والقراءة هي سلاح الفهم، ونور العلم خصوصًا إذا وُجِّهت لنفع الإنسان، وخَضَعت لوحي الرحمن عَزَّ وَجَلَّ.

والقراءةُ هي الأداة المُوصِلة إلى العلوم الشرعيَّة، ولابُدَّ فيها من التلقِّي

لِوحدَة الفَهْم لمراد الله تعالى المتمثِّل في تعاليم رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن].

جُعِل خلقُ الإنسان محصورًا بين: علم القرآن والبيان. فكأنَّ الإنسان إذا أراد أن ينال رحمة الله تعالى، ويرتقي في علوم البيان فلا بُدَّ له من إخضاعها للغاية من الخلق، ولتعاليم القرآن.

• إذن فالغاية من الخلق:

١ـ أن يكونَ خليفةً في الأرض، خاضعًا لمن استخلَفَه فيها، وخلَقَه بيديه، ونفخَ فيه من رُوحه عَزَّوَجَلَّ.

٢ـ وأن يتحمل الأمانة التي حُمِّلَها وناءَت بحملها السماوات والأرض والجبال، فيقوم عليها ويؤدِّيها، ميَّزه بها عن سائرِ المخلوقات بأن جعلَ وظيفة عقله ليست في الحصول على الشَّهَوات والملذَّات فقط، والتمتُّع بالطعام والشراب والشَّهَوات، بل جعلها في الارتِقاء بفَهْم آيات الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣ـ تحقيق العبوديَّة لله عَزَّوَجَلَّ، فهو سبحانه الخالق، والرَّازق، والمُنعِم، والمدبِّر، والحكيم، وإليه المرجع والمآل والمصير.

فالعبوديَّة له عِزٌّ وشرَف، وإن كانت لغيره صارت ذُلًّا ومَهانة.

٤ـ أن يتعلَّم القرآن والبيان، وتدبر آيات الله تعالى المقروءة والمحسوسة.

٥ـ أن يُبتلى ليُعرف بين الخلق مَن هو: أحسن عملًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

• فمتى كانت القراءةُ باسمِ الله، ولتحقيق الغايَةمن خَلْق الإنسان كان كرمُ الله تعالى للإنسان: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق].

• وعندما تكون قراءةُ الإنسان في علوم الطبيعة والأكوان خاضعة لهذا المنهج لا تُثمر إلَّا نافعًا، ولا تُخرج إلَّا طيِّبًا، كالنحلة لا تسقط إلَّا على الطيب، ولا تُخرج إلَّا العسل، وهذا مثل المؤمن كما وصفه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• وعندما قرأَ الغَرْبُ في العلوم الطبيعيَّة بعيدًا عن منهج الله ماذا كانت النتائج؟ أسلحة نَوويَّة وبَيُولوحيَّة وكِمياويَّة وجُرثوميَّة، واستبداد واستعباد، وقوانين طوارئ وإرهاب، وقواعد للبشريَّة جديدة تُبيح للقويِّ استغلالَ الضعيف، حتى اقترب الناس أن يعودوا إلى ما كانت عليه البشريَّة قبل بَعْثة النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اضطهاد وظُلم وعبوديَّة ورِقٌّ من الرومان والقياصرة والأكاسرة لشعوبهم.

كما لازمَ هذا التقدمَ الماديَّ، تقدُّمٌ في فنون الفواحش والمعاصي، والتباهي بها والتفاخر والتبجُّح، وسنِّ قوانين لحمايَة أصحابها من

الشواذِّ والسُّفهاء.

ولقد استدارَ الزمان، وتحقَّقت إرهاصاتُ إخباره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتِّباع أُناس من أمَّته سُنَن مَن كان قبلَنا من فارس والروم، واليهود والنصارىٰ، وصدَق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نُبوءته من أنه سيلحَق فِئام من أمَّته بالمشركين آخرَ الزمان.

• اسْتِبْدالُ الكفر بالإسلام «الرِّدَّة» وهذا قد يكون نادرًا في أُمَّة الإسلام.

• اسْتِبْدالُ التَّشَبُّه بما عليه المغضوبُ عليهم والضالون بنُظُم الإسلام وما جاء به.

• اسْتِبْدالُ الشِّرْك بالتوحيد، وخاصةً شرك العبادة والدعاء المنتشر بين الكثير في هذا الزمان، وصدق الله ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦** ﴾ [يوسف].

***

◘ فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

قال تعالىٰ: ﴿ **فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٣٢** ﴾[يونس].

فإذا دعانا الله عَزَّوَجَلَّ إلى الحقِّ، فهل يظنُّ أحد من الناس أن ترْكه للحقِّ، والتماسه في غير مَوضِعه ومَحِلِّه أن يكون على صواب أو هداية؟ فالاستبدال أول مراحل الضلال، والتكذيب بالحقِّ، وعدم الرضا به.

▫ **(أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير):**

فما دونَ الحقِّ هو الدُّنُوُّ والهبوط والسفليَّة والأقل نفعًا، والأكثر ضررًا في الدِّين والدنيا والحياةِ بعد الممات.

لذلك تتحقَّق سُنَّة الاستِبدال لكل أُمَّة أو مجتمع أو أسرة أو أفراد أو جماعاتٍ إن تولَّوْا عن التمسُّك بالحقِّ والخير، ونصروا الباطل والشرَّ، ودافعوا عنهما.

• قال تعالى: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم** ٣٨﴾ [محمد].

يعني إن تتولَّوا عن نُصْرَة الحق، والإنفاق في سبيل الله لمؤازَرَة ذلك الحق، يَستبدلِ الله بكم، أي أنه لا يُعيرُكم اهتمامًا، ولا يَعتبِرُكم أنصارًا، وتهون قيمتكم عنده، وتَقِلُّ هيبتُكم في عيون غيركم، ولا ينظر الله إليكم، ويأتي بقوم آخرين يُحبُّهم ويُحبُّونه، أذلَّة على الحق، أعزَّة على الباطل، يُجاهدون لنصرة دين الحق وإعزازه وظُهوره، ولا يَخافون لومةَ لائِم، كما ورَد في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن**

يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

• يقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ وَهَذَا شُرُوعٌ فِي بَيَانِ أَحْكَامِ الْمُرْتَدِّينَ بَعْدَ بَيَانِ أَنَّ مُوَالَاةَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُسْلِمِ كُفْرٌ، وَذَلِكَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الرِّدَّةِ. وَالْمُرَادُ بِالْقَوْمِ الَّذِينَ وَعَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِتْيَانِ بِهِمْ هُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَجَيْشُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ قَاتَلَ بِهِمْ أَهْلَ الرِّدَّةِ، ثُمَّ كُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ لِلْمُرْتَدِّينَ فِي جَمِيعِ الزَّمَنِ» (١).

بهذه الأوصاف العظيمة المشتمِلة على غاية المدح ونهاية الثَّناء من كونهم يحبُّون الله وهو يحبُّهم، ومن كونهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ أي: يُظهِرون العطفَ والحنوَّ والتواضع للمؤمنين، ويُظهِرون الشدَّة والغِلظة والترفُّع على الكافرين، ويجمعون بين الجهاد في سبيل الله وعدمِ خوفِ المَلامَة في الدِّين، بل هم متصلِّبون، لا يُبالون بما يفعله أعداء

(١) فتح القدير، لمحمد بن علي الشوكاني (٢/ ٥٩).

الحقِّ وحزبُ الشيطان من الازْدِراء بأهل الدِّين، وقَلْبِ محاسنِهم مساوِئَ، ومناقبِهم مَثالبَ، حَسدًا وبُغضًا وكراهةً للحقِّ وأهله.

• وقوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٥٥]، لما فرَغَ سبحانه من بيان مَن لا تحِلُّ مولاته، بيَّن مَن تجب موالاتُهم، وبيَّن صفاتِهم، إنهم يُقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، وهم خاشعون لا يتكبَّرون، ثم وعَدَ سبحانه مَن يتولَّى الله ورسولَه والذين آمنوا بأنهم الغالبون لعَدُوِّهم.

• وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو الشَّيْخِ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ، وَابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: أنزل الله هذه الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾[المائدة]. وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَرْتَدُّ مُرْتَدُّونَ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ارْتَدَّ عَامَّةُ الْعَرَبِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَسَاجِدَ: أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَأَهْلُ مَكَّةَ، وَأَهْلُ الجَوَّاثا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَقَالَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا: نُصَلِي الصَّلَاةَ وَلَا نُزَكِّي وَاللهَّ لَا تُغْصَبُ أَمْوَالُنَا، فَكُلِّمَ أَبو بَكْرٍ فِي ذَلِكَ لِيَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَوْ قَدْ فَقِهُوا أَدَّوُا الزَّكَاةَ، فَقَالَ: وَالله لَا أُفَرِّقُ بَيْنَ شَيْءٍ جَمَعَهُ اللهُ وَلَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا مِمَّا فَرَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ، فَبَعَثَ اللهُ عَصَائِبَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فَقَاتَلُوا حَتَّىٰ أَقَرُّوا بِالْمَاعُونِ وَهُوَ الزَّكَاةُ.

قَالَ قَتَادَةُ: فَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ زَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ**﴾[المائدة: ٥٤] إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ[١].

• ﴿**أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ إباءٌ واستعلاءٌ، **عزَّة العقيدة الصحيحة، والاستعلاءِ للحقِّ، إنها الثقة بغَلَبَة دِين الله على دِين الهوَى**، وبغلبة قوة الله على تلك القُوَىٰ، فهُم الأَعْلَوْنَ: ﴿**يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ**﴾. يجاهدون في سبيل الله لتحقيق منهج الله، وإقامة الدِّين.

• إنها سُنَّة الاستِبْدالِ، والاسْتِبْدالُ وَضْعُ الشيءِ موضعَ الآخَر.

قال الشوكاني في تفسيره عند قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ**﴾ [محمد:٣٨] « معْطُوفَةٌ عَلَىٰ الشَّرْطِيَّة الْمُتَقَدِّمَةِ وَهِيَ ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا۟**﴾، وَالْمَعْنَىٰ: وَإِنْ تُعْرِضُوا عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا آخَرِينَ يَكُونُونَ مَكَانَكُمْ هُمْ أَطْوَعُ لله مِنْكُمْ ﴿**ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم**﴾ فِي التَّوَلِّي عَنِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ »[٢].

• لذلك كانت أهمُّ صفة للجماعة المؤمنة التي ثبتَتْ مع النَّبيِّ ﷺ، ونصرَها الله تعالىٰ نَصْرًا مؤزَّرًا في غزوة الأحزاب

---

(١) تفسير فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٦٠).
(٢) فتح القدير، للشوكاني (٥/ ٥١).

أنهم لم يُبدِّلوا، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

• **والجَزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ:** فهُمْ عندما لم يبدِّلوا كلام الله ولا كلام رسوله، لم يستبدلهم الله عَزَّوَجَلَّ، بل رضِي عنهم، وأعدَّ لهم جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، وفضَّلهم على سائر خلقه بعد الرُّسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

• **والجَزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ:** فمن بدَّل دِينَ الله أو شيئًا منه، أو استبدَلَ النفاقَ والكفرَ بالإسلام، والخوفَ والهلَعَ بالثباتِ، والركونَ للدنيا بالجهاد، أو استبدلَ ما في يَدَيْه بما عند الله ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، مَن يفعل هذا فقد حقَّت عليه سُنَّة الاستِبْدالِ.

• **والجَزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ:** سُنَّة من سُنَن الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث: { **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ**

مِنْهُمْ }[(١)]. وفي الحديث: { احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ }[(٢)].

فهنيئًا لمن ثبَت على الإيمان الصحيح ولم يُبالِ، ورحِمَ الله مَن قال: (لا تَعْجَبْ ممَّنْ ضَعُفَ كَيْفَ ضَعُفَ، ولَكِن اعْجَبْ ممَّنْ ثبَتَ كَيْفَ ثَبَتَ).

ومِن دعاء أهل الإيمان: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾[آل عمران].

وكَانَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: { يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[(٣)].

• فالثباتُ على الدِّين من أعظم النعم، لأنه الطريق إلى الله تعالى المُوصِل إلى جنته ورحمته، وهو طويل وشاقٌّ، والمتساقِطون فيه كَثْرَة، وصاحِب الحظِّ العظيم هو الذي يَثبُت عليه حتى النهاية حتى يتوفاه الله تعالى وهو على الإيمان (حُسْنُ الخاتمة) بدون تبديل أو تعديل أو

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، ح (٧٤٠٥)، ومسلم: ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: الحث على ذكر الله تعالى، ح (٢٦٧٥).
(٢) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ح (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح».
(٣) أخرجه أحمد، ح (١٢١٠٧)، والترمذي : ك: القدر: ب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ح (٢١٤٠)، وقال: «حديث حسن».

تغيير: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الشورى].

***

◘ وبالحقِّ أنزلناه وبالحقِّ نزل:

أُنزِل هذا القرآن، وأُرسِل هذا الرسول بالحقِّ، وجعل الحق والخير فيهما (القرآن والسُّنَّة)، وجاءت أحكام الكتاب والسُّنَّة لتحفظ على الناس دينهم، وتُنقِذهم من الهاوية، وتنظِّم شؤون دنياهم التي وَكَلَها إليهم { **أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ** }(١). حتى لا تكونَ **ماديَّةٌ** تؤدِّي إلى الدَّهْرِيَّة، أو **شيوعيَّة** تؤدِّي إلى الإلحاد، أو **رأسماليَّة** تؤدِّي إلى الاستغلال والاستعباد، أو **حريَّة** تؤدِّي إلى الإباحيَّة والفواحش، أو **عَلمانيَّة** تؤدِّي لعَزْل الدِّين عن الحياة، أو **رهبانيَّة** تؤدِّي إلى الابتِداع والانحراف، أو **عَقلانيَّة** تؤدِّي إلى الهوى والأوهام، أو **صوفيَّة** تؤدِّي إلى الخرافات والخُزعبلات، أو **بوذيَّة** تؤدِّي إلى عبادة الأصنام من جديد، أو **هندوسيَّة** تؤدِّي إلى عبادة البقر، أو **سيخيَّة** تؤدِّي إلى عبادة النار، أو **يهوديَّة** تؤدِّي إلى الكتمان والتبديل وعبادةِ «عُزَيْرٍ» من دون الله، أو **نصرانيَّة** تؤدِّي إلى القول على الله بغير حقٍّ، والافتراءِ عليه

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم: ك: الفضائل، ب: وجوب امتثال ما قاله شرعًا، دون ما ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من معايش الدنيا على سبيل الرأي (٢٣٦٣).

وعبادةِ المسيح، أو **رافضيَّةٌ** تؤدِّي إلى الانحراف عن الحق، وإلى تأويله تأويلًا فاسدًا، أو **سلبيَّةٌ** تؤدِّي إلى الاستِسلام والخِذلان.

• فبالحقِّ نزل الإسلام، وسَطًا (عدلًا)، فلا رهبانيَّةَ ولا تبتُّلَ، ولا إفْراطَ ولا تَفريطَ، ولا مغالاةَ ولا تَسيُّبَ.

جاء متكاملًا متجانسًا متلائمًا، فإذا بدأ المسلم في التبديل فقد بدأ في الانسلاخ بالتدريج، وحدَثَ الخَلَلُ لهذا التكامل، واختلط صفاؤه وتعكَّر تجانُسه، ولم يَعُدِ التلاؤم تامًّا أو كاملًا.

فأيُّ استبدالٍ في أيِّ جزئيَّة من شعائر الإسلام يقدَح في الهُوِيَّة، ويغيِّر في صبغة الله تعالى لعباده المؤمنين، وتكون بداية الاستِدْراج.

لذلك:

• شدَّد الإسلامُ على بُطلان الشِّرْك .. لأنه ينقُض التوحيدَ.

• وشدَّد الإسلامُ على بُطلان الكُفر .. لأنه ينقُض الإسلام.

• وشدَّد الإسلامُ على تحريم الفواحش .. لأنها تَهدِم البنيان.

• وشدَّد الإسلامُ على تحريم الخبائث .. لأنها تَتنافَى مع الطيبات.

• وشدَّد الإسلامُ على تحريم الغِشِّ وقول الزور والكذب والرِّبا، والرِّشوة، والغِيبة، والنميمة، والظلم، والسرِقة، والغُلول، والخيانة، وقتل النفس، وشُرب الخمر، وأكْل أموال الناس بالباطل؛ لأنها تؤدِّي

إلى الانحطاط، وهي سبب لغضب الله عَزَّوَجَلَّ، وحلول نقمته وعذابه.

• كما شدَّد الإسلام على وجوب إقامة الحدود؛ كي يتحقق الأمن، ويكون المجتمع طاهرًا نقيًّا آمنًا كما كان من قبل.

***

◘ من تشبَّه بقوم فهو منهم:

لكل إنسانٍ قُدوةٌ يُحب أن يَقتدي بها، وله شخصيَّة تُعجبه يُحب أن يتشبَّه بها، وله شَبيه يُقلِّده، ويُحب أن يكون مثلَه في مظهره، وملبسه، ومأكله، وحديثه، وحركاته، وهناك عاداتٌ وتقاليد وأعرافٌ ينشأ الناس عليها.

فنحنُ أمامَ قُدوةٍ، وشخصيَّة مشهورة، ومُقلَّدَةٍ، وأعرافٍ وتقاليدَ. وعلى المسلم سليم الطباع صحيح الفطرة، نقيِّ السَّرِيرة، راجحِ العقل أن يكون:

١) **له قُدوة:** تليق به، بها يعتزُّ ويفتخِر، سليمةٌ من المعايِب والنقائص، أجمع عليها العُقلاء والفُضلاء والمنصِفون، كَمُلَت أخلاقُها، وحَسُنَت سيرتُها، والأهم من ذلك أن يكون كما اختارها وارتضاها الله سبحانه لعباده «أسوة حسنة»، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

فمن يا تُرىٰ يكون أحقَّ أن يكون أُسوة وقدوة لك بعد رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو اختيار الله لك؟

٢) **له شخصيَّةٌ متميزةٌ** بـ: العلم، والحكمة، والحِلِم والأَناة، والعدل، والرحمة والشفَقة، والمَحَبَّة بين الناس، والتطلُّع إلىٰ معالي الأمور، والبُعد عن سَفاسِفِها، وهذه أيضًا لم تجتمع إلا في رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومَن بَعدَه مِن العلماء والفقهاء.

أمَّا أن تكون له شخصيَّة معروفة بـ: الفُجور، وشُرب الخمور، والخَنا، واللهو، والغِناء، والرقص، والكُرْه، فهذا هو النقص في إنسانيته، والضعف في تفكيره ورؤيته.

٣) **له مَن يُقلِّده في الخير**، والنفع، والصفات الحميدة، والخِصال الرشيدة. **فهذا من وَطَّنَ نفسه، وحماها من أن تَرعَى في حِمى الغَيْرِ، وحفِظ نفسه بهذا التقليد من العِيِّ والكثرة المذمومة، أمَّا أن يكون له مقلَّد يُقلِّده في كل شيء: الخير والشر، الإحسان والإساءة، فهذا يكون أقرب أن يكون عبدًا له لا مقلِّدًا له.**

فالتقليد للآباء والأجداد وَهُمْ علىٰ الباطل مذمومٌ في الكتاب والسُّنَّة، والتقليدُ للناس في الشرِّ والإساءةِ هو الإمَّعِيَّةُ التي نَهانا عنها رسولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والتقليدُ للشخصيات الهزليَّة التافِهة يُوقِعُك في بحر الغَفْلَة والشهوة ويجرُّك إلىٰ الهاوية.

أمَّا التقليد في العادات والأعراف فلا بأس به ولا حرج بشرط أن تكون موائمة ومتناسبة ومتناسقة مع أحكام الإسلام؛ بل تُعَدُّ مخالفتها حينئذٍ من الحَماقة والفَظاظة، وقد تكون المخالفة لها من أَجْلِ الشُّهْرَةِ أو لَفْتِ الأنظار.

أمَّا إذا خالفت الأعرافُ والتقاليدُ الكتابَ والسُّنَّة فلا يُعتَدُّ بها ولا قيمة لها، لأنها حينئذٍ تكون: نِدًّا وضِدًّا لما اختاره الله تعالىٰ لعباده.

***

◘ لماذا نهى الإسلام عن موالاة الكفار؟

أولا: للمحافظة علىٰ ما تميَّز به الإسلام.

ثانيًا: لعدم الذوبان في الناس للمحافظة علىٰ دين الله، وصبغة الله تعالىٰ وعلىٰ الهويَّة الإسلاميَّة.

ثالثًا: للانفراد بالتميُّز في العقيدة والتوحيد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات والأحكام، والسياسة والحكم، والحلال والحرام، والتربيَة والاجتماعيَّات.

رابعًا: للوصول إلىٰ قبول الأعمال؛ فالله لا يتقبَّل إلَّا مرادَه، وإلَّا

ما كان خالصًا لوَجْهِهِ الكريم، ومرادُ الله تعالىٰ أرسل به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يَقبل الله في عمل العبد حين ينوي القيام به شريكًا آخرَ معه.

خامسًا: المحافظة علىٰ العُلُوِّ: لأنَّ الأدنَىٰ هو الذي يتشبَّه بالأعلىٰ منه في الغالب، والله جعل أهل الإيمان هم الأعلون، قال تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾**﴾[آل عمران]، **{ والْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى }**.

ولم يَقُل سبحانه وأنتم أعلَوْن (بالتنكير)، وذلك لأن اللفظ بالتنكير يعني أن الموصوف به قد يكون أعلىٰ مرَّة وأدنىٰ أخرىٰ، فالمؤمن يجب أن يكون أعلىٰ وأعزَّ علىٰ الدوام. لا يَسْفُلُ ولا يُذِلُ نفسه بالتَّشَبُّه بمن هم أقلُّ منه في الدِّين والإيمان.

سادسًا: أنَّ التَّشَبُّه يقتضي المَحَبَّة والرضا والموالاة، ولا يُعقَل أن المسلم يحب أصحاب الأعمال المخالفة للإسلام ويرضَى عنهم ويواليهم.

قال تعالىٰ: ﴿ **فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾** ﴾[التوبة].

فالله هو وليُّ الذين آمنوا، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، والمنافقون والمنافقات بعضُهم أولياء بعض، وكذلك الكفار

بعضُهم أولياءُ بعض، وإذا لم ينتبه أهل الإيمان إلى ذلك تكون فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير.

سابعًا: أن التَّشَبُّه بالكفار وأهل النِّفاق في عقائدهم وعباداتهم سببٌ في فُرْقَة المسلمين، وإثارة الجدَل والخلاف بينهم، وذلك شرٌّ كبير، وإثم عظيم، فالفُرقة على الحق هي أول ثمرة للتشبُّه بالذين اختلفوا من بعد ما جاءهم البينات، وهي سبب الفشَل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ثامنًا: أن التَّشَبُّه في أُمَّة الإسلام سبب غَلَبة الكفار عليهم، واحتلال أرضهم، عن طريق هؤلاء المُعجَبين والمتشبِّهين بهم، فهم جِيل الخَوَنَة في كل عصر ومِصر، وهم القنطَرَةُ التي يَعبُر عليها المستعمِر (المستخرِب) إلى بلاد المسلمين.

تاسعًا: فيه تكثيرٌ لسَواد أهل الباطل، والميل والتقارب إليهم، وإزالة الفوارق بيننا وبينهم.

عاشرًا: في التمسُّك بهَدْي الإسلامِ الظاهرِ والباطنِ، واتخاذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسوة وقُدوة، والتَّشَبُّه بأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قولًا وسلوكًا وجهادًا وعملًا وإخلاصًا، رضوانُ الله وجنته ورحمته والفوز العظيم، وائتلاف القلوب، و الوحدة والاتحاد على ذلك.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

وفي تركِ التَّشَبُّه بهؤلاء إلى التَّشَبُّه بغيرهم دليلٌ على سخَطِ الله تعالى، ومَقْتِه وغضبِه وعقابِه، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

لذلك قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ }(١).

• فشخصيَّة المسلم متميِّزة، معروفة، مشهودٌ لها، فهو يُعرَف من خلال مظهره، وسلوكه، وأخلاقه، وتعاملاته، وأقواله، وكم دخل الناس في دين الله أفواجًا لما تعاملوا وخالَطوا أهل الإسلام، فأبهَرَهُم سلوكُهم وأخلاقُهم قبل عبادتهم، وزِيُّهم وحجاب نسائهم قبل معاملاتهم، وعلوّ همتهم وترفعهم عن الدنايا، ونشاطهم واجتهادهم في البكور، وحبُّهم لنبيهم، واستجابتُهم له في أخوَّة صادقة وحبٍّ في الله، لم يعرِف العالم مثله قط في نظام بديع لربهم جلَّ وعلا، كلما ارتفع صوت

(١) أخرجه أبو داود : ك: اللباس، ب: في لباس الشهرة (٤٠٣١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٤٩).

المؤذن، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، وبلا فرق بين غني وفقير، وعزيز وذليل، فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

حادي عشر: يومَ يكونُ المسلمُ كالكافر، فهذا يُعتبر من الصدِّ عن سبيل الله تعالى، والتخلي عن مهمَّة الرسل والأنبياء التي انتقلت إلينا بعد نبيِّنا الخاتم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كنا نحن حاملين لواء الدعوة والهداية، وإنقاذ الناس من النار، فهل يجوز أن يتشبَّه المسلم منَّا بالكافر؟ إن تشبُّه المسلم بالكافر يعني تركَه وتخلِّيَهُ عن جزء من دينه؛ إذ جعل تمسُّكه بما يتشبَّه به أولى من تمسُّكه بدينه، والمسلم إذا انسلخ من دينه في جُزئيَّة.. فبعد قليل يكون عدوًّا لها، متأوِّلًا للنصوص، يُؤَوِّل مراد الله تعالى فيها حسب هواه، فيقع في عبادة الهوَى والصدِّ عن سبيل الله، وهو يحسَب أنه يُحسِن بذلك صُنعًا.

***

◘ الاستبدال في العقيدة والتوحيد:

وهو أخطرُ أنواع الاستبدال، وأشدُّها ضررًا على دِين العبد ودنياه، وإليك بعضَ النماذجِ مما استبدله المسلمون اليوم ببعض الأمور من دين الله تعالى، فقد استبدلوا بها عاداتٍ وتقاليدَ وأفعالًا ما

أنزل الله بها من سلطان، يستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير، عسىٰ الله تعالىٰ أن ييسِّر لنا الكتابة في هذه السُّنَنِ، ومنها علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

ـ استبدالُهُم بصبغة الله تعالىٰ، صبغاتٍ أخرىٰ، إما فرعونيَّة، أو فارسيَّة أو رُومِيَّة، أو تشبُّه بصبغات مَن لا خلاق لهم، فأين الهويَّة الإسلاميَّة؟!

ـ اِسْتِبْدالُ الأماني والأحلام والدَّعة والخمول والكسل والراحة بالأخذ بالأسباب والإعداد والاستعداد.

ـ اِسْتِبْدالُ حميَّةِ الجاهليَّة بالحميَّة للحقِّ.

ـ اِسْتِبْدالُ عقيدةِ المنافقين وحبِّ الناس أجمعين بعقيدة الولاء والبراء.

ـ اِسْتِبْدالُ الرياءِ بالإخلاص لله تعالىٰ.

ـ اِسْتِبْدالُ البدعةِ واتِّباع الهوَىٰ والوَهْم، والتَّشَبُّهِ بالمغضوب عليهم والضالينَ بالسُّنَّة النبويَّة المشرقة.

ـ اِسْتِبْدالُ إرادةِ الدنيا بإرادة الآخرة.

ـ اِسْتِبْدالُ التدليسِ وعدم الإتقان بالعمل والالتزام والإتقان.

ـ اِسْتِبْدالُ الموضةِ والإتيكيت والبروتوكول بالآداب والأخلاق الإسلاميَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ القوانينِ الوضعيَّةِ بأحكام الشريعة الإسلاميَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ نقرِ الصلاة، والصلاة في البيوت بالخشوع في الصلاة، والصلاة جماعة في المسجد، واسْتِبْدالُ التأخيرِ عن الصلاة والتلكُّؤ عنها بالتبكير إلى صلاة الجماعة.

ـ اِسْتِبْدالُ إمامةِ الفاسق والمبتدع بإمامة القرَّاء والملتزمين بالسُّنَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ الاستيقاظِ لمواعيد العمل والمدارس بالاستيقاظ لصلاة الفجر.

ـ اِسْتِبْدالُ الأنكحةِ الفاسدة بالنكاح والزواج الشرعي.

ـ اِسْتِبْدالُ التعقيدِ وزيادة التكاليف في النكاح والتقييد بقائمة منقولات ومؤخَّر صَداق وذهب بالجرامات، سواء كان في وُسْعِه أو في غير وُسْعِه بالتيسير في المُهور.

ـ اِسْتِبْدالُ السَّهَرِ لساعات طوال من الليل والسَّمَرِ وضياع صلاة الليل وصلاة الفجر بالنوم مبكرًا بعد صلاة العشاء.

ـ اِسْتِبْدالُ الأناشيدِ والأغاني بحفظ القرآن والسُّنَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ الأعدادِ الأعجميَّة بالأعداد العربيَّة.

ـ استبدال التحدُّثِ باللَّهْجَةِ العاميَّة واللغات الأخرىٰ بالتحدث باللغة العربيَّة الفصيحة.

ـ اِسْتِبْدالُ الحَلِفِ بغير الله بالحلف بالله وَحْدَه.

ـ اِسْتِبْدالُ النُّكْتةِ والكذب واللهو الحرام بالصدق في الفُكاهة والدُّعابَة واللهو المباح.

ـ اِسْتِبْدالُ مفاهيمَ أخرىٰ، وفلسفاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان بالمفاهيم الإسلاميَّة الأصليَّة للواقع والدنيا والكون والروح.

ـ اِسْتِبْدالُ تقويمِ النصارىٰ الميلادي بالتقويم الهجريَّة هُويَّة الأُمَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ الساعةِ الأجنبيَّة بالساعة العربيَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ السياحةِ في البلاد الأجنبيَّة بالسفر للحج والعمرة.

ـ اِسْتِبْدالُ الإنفاقِ علىٰ الأعمال الإنسانيَّة مُشابَهة للغرب بالإنفاق في سبيل الله ونشر العلم والدعوة .

ـ اِسْتِبْدالُ عاداتٍ وآدابٍ ما أنزل الله بها من سلطان بآداب الطعام واللباس وسائر الآداب الإسلاميَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ التعاملاتِ الأجنبيَّة بالتعاملات الإسلاميَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ الجَليسِ السُّوء بالجليس الصالح.

ـ اِسْتِبْدالُ سماعِ الأغاني واللَّغْوِ والرَّفَث بذكر الله تعالىٰ والمناجاة به.

ـ اِسْتِبْدالُ نظمِ التعليم والتربية الغربيَّة بنظم التعليم والتربية الإسلاميَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ الصَّمْتِ أمام المسلسلات والأفلام وكرة القدم بأن

يكون صَمتي فِكرًا، ونَظَري عِبرًا، ونُطقي ذِكرًا.

ـ اِسْتِبْدالُ السرعةِ والعَجَلة والشدة فيما بينهم والخضوع للكفار والعجلة والتسرُّعِ بالحِلم والأَناةِ والعفو والصفح والشدة على الكفار والرحمة بينهم.

ـ اِسْتِبْدالُ البرمجةِ العصبيَّة للعقل P.L.N بالبرمجة اللغويَّة للروح، والتنميَّة البشريَّة العقليَّة الغربيَّة بالتنميَّة البشريَّة والفكريَّة الإسلاميَّة.

ـ اِسْتِبْدالُ أمثلةِ الغَرْب بالحِكَم المأثورة في الكتاب والسُّنَّة، كمثال: (لا تعطني سمكة وعلمني كيف أصطاد)، فأين هو من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {**اِذْهَبْ واحْتَطِبْ**}؟.

ـ اِسْتِبْدالُ المؤلَّفاتِ العَصريَّة التي جمعت بين الطيِّب والخبيث بعلوم الإسلام وكتب التراث.

ـ اِسْتِبْدالُ سُنَنِ اليهود والنصارى بسِمَةِ الإسلام وسُنَنِه.

ـ اِسْتِبْدالُ الطمعِ وكثرة العَرَض بالقناعة وغِنَى النفس.

ـ اِسْتِبْدالُ السخَطِ والضجر بالرضا بالقضاء.

ـ اِسْتِبْدالُ الماديَّةِ في المناهج الأرضيَّة والغربيَّة بالتوازن في الإسلام بين الروح والجسد، والعقل والوحي، والدنيا والآخرة.

- اِسْتِبْدالُ النَّعَراتِ الجاهليَّة بالعِزَّة الإيمانيَّة.
- اِسْتِبْدالُ الوَهَنِ وحبِّ الدنيا بحبِّ القتال في سبيل الله.
- اِسْتِبْدالُ نماذجِ السوء الوضيعة بالأسوة الإسلاميَّة الحسنة.
- اِسْتِبْدالُ الحُجَّة والعلم بالجدال والمِراء.
- اِسْتِبْدالُ الرُّوَيْبِضَةِ والرؤوس الجُهَّال بأهل العلم الأتقياء.
- اِسْتِبْدالُ الإسبالِ والخُيَلاء بسنَّة ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾.
- اِسْتِبْدالُ الضميرِ بالتقوىٰ.
- اِسْتِبْدالُ إن أكرمَكم عند الله أغناكُم وأكرمُكم بيتًا بـ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.
- اِسْتِبْدالُ الجهادِ الأصغر بالجهاد الأكبر.
- اِسْتِبْدالُ القوميَّةِ والوطنيَّة والتحزُّب بالخلافة ووحدة الأُمَّة.
- اِسْتِبْدالُ مُنكراتِ الأفراح والمآتم بالفرح والحُزْن بضوابط الإسلام.
- اِسْتِبْدالُ ألفاظٍ للتحيَّة بين الناس بتحيَّة الإسلام «السلام عليكم».
- اِسْتِبْدالُ المحاكمِ الوضعيَّة والتي تحكم بغير بما أنزل الله بالمحاكم الشرعيَّة.
- اِسْتِبْدالُ العلاقاتِ المشبوهة المحرَّمة بين الجنسين بالعلاقات

الزوجيَّة الإسلاميَّة المتميزة.

ـ اِسْتِبْدالُ اتخاذِ الخليلات والأخْدان بتعدُّد الزوجات.

ـ اِسْتِبْدالُ التبرُّجِ والسُّفور وحجاب الموضة وتبرج الحجاب وتبرج الجاهليَّة بالحجاب الشرعي.

ـ اِسْتِبْدالُ استِبدادِ المرأة وتقديمها بقَوامة الرجل: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

ـ اِسْتِبْدالُ الزِّيِّ الأفرنجي بالزِّيِّ العربي.

ـ اِسْتِبْدالُ السواك بمعجون الأسنان.

ـ اِسْتِبْدالُ الاقتصادِ الربوي بالاقتصاد الإسلامي.

ـ اِسْتِبْدالُ عادةِ خروج المرأة للعمل بمُكثها في البيت للقيام بوظيفتها الأساسيَّة من القيام بأعباء الزوجيَّة وتربية أولادها.

ـ اِسْتِبْدالُ برِّ الأصدقاء والأزواج والأنساب ببرِّ الوالدَين.

ـ اِسْتِبْدالُ الطيباتِ بالخبائث، والحرام بالحلال.

ـ اِسْتِبْدالُ الاستبدادِ والظلم وهو الحكم بغير ما أنزل الله بالعدل وهو الحكم بما أنزل الله.

ـ اِسْتِبْدالُ التسميةِ بعبد الرسول وعبد النبي وأسماءٍ غيرِ عربيَّة

وغير إسلاميَّة بالتسمية بعبد الله وعبد الرحمن.

- اِسْتِبْدالُ النَّعْرَةِ الجاهليَّة بالعزة الإيمانيَّة.

- اِسْتِبْدالُ الاجتماعِ للعَزاء بالعزاء على القبر.

- اِسْتِبْدالُ خشية الناس بخشية الله تعالىٰ.

- اِسْتِبْدالُ التأمين المحرم بالتكافل الاجتماعي في الإسلام.

- اِسْتِبْدالُ شِركِ الدُّعاء بتوحيد الله والدعاءِ للأموات.

وبالجملة: فقد استبدل بعض الناس بنظام الإسلام للحياة، وهو أروع وأنسب أسلوب للحياة نظمًا مختلطة شقي الناس بها، وفقدوا هويتهم الإسلاميَّة شيئًا فشيئًا، فانحدرت بهم الحياة، وضلوا الطريق للسعادة والهدايَة، فمتىٰ نتوبُ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، ونهجرُ ما استبدلناه، ونعودُ إلىٰ ما اختاره الله تعالىٰ لنا وهو الأعلىٰ والأقيمُ والأقومُ؟

قال الله ﷻ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠﴾ [التوبة].

• هنيئًا لمن لم يستبدل شيئًا بشيء من دين الله تعالىٰ الذي اختاره للعالمين، ورضيه لهم، وختم به الأديان والرسالات، هنيئًا له في الدنيا: بمعيَّةِ الله تعالىٰ له ورعايته وحفظه ورحمته ومِنَّته عليه براحة البالِ وطِيب الحال والحياة الطيبة وسلامته من كَدَر الدنيا، وفي الآخرة: بمَقعد صِدق

عند مليك مقتدر في جنات ونهر، وبأنه من وفد الله المكرمين، وأهله المقربين المتقين في رَوْح وريحان وجنة نعيم. اللهم اجعلنا منهم.

• وسوف أقتصِرُ في هذا الكتاب على أخطرِ أنواع الاستبدال وهو استبدال الشِّرْك بالتوحيد؛ لأنه يمنع من دخول الجنة، وصاحبه يخلَّد في النار، ولا يقبل الله من المشرك صَرفًا ولا عَدلًا، فعمله هباءٌ مَنثورٌ.

***

▫ خطورة الشِّرْك:

يعتبر الشِّرْك في الإسلام أخطرَ أنواع الكفر وأشدَّها ضررًا، لذلك كانت أولى المهمات لرسالة الأنبياء والمرسلين: اعبدوا الله وَحْدَه، ولا تشركوا به شيئًا، اعبدوه واجتنبوا الطاغوت.

• والشِّرْك يُحبط عمل الإنسان، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزمر].

• والله لا يغفر أن يُشرَك به: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

• والشِّرْك كما وصفه الله تعالى ظلمٌ عظيم: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

• والسموات يتفطّرن، وتنشقُ الأرض، وتكاد الجبال تخِرُّ هدًّا على كل من أشرك بالله وجعل له ندًّا. ولما سُئِل النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله؟ قَالَ: { أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ }**(١).

• فالشِّرْك أكبر الكبائر، ولا يقبل الله معه صرفًا ولا عدلًا، ولا عملًا، ولا قولًا، ولا عبادة، ولا صدقة، ولا تقرُّبًا.

• وما أفسد الدِّين، وآذى المرسلين والأولياء والصالحين في كل زمان ومكان إِلَّا أهلُ الشِّرْك.

• ومن خلال الشِّرْك تنتشر الخُرافات والخُزَعْبلات، وتُهدَر قيمة الإنسان ذاته، حيث أهدر هو قيمة خالقه جلَّ وعلا، لأنه سبحانه هو المستحق للعبادة والتعظيم والمَحَبَّة العظمى بلا منازع.

• ولو علم المشرك الفارق بين الخالق والمخلوق لما أشرك معه أحدًا.

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ** ﴾[النحل: ١٧]، وقال: ﴿ **أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ** ﴾[الرعد: ١٦]، وقال: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾** ﴾ [الكهف].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن، ب: قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾** ﴾ ح (٤٤٧٧)، ومسلم : ك: الإيمان، ب: كون الشِّرْك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعبده (٨٦).

• ولو علم المشركُ أن الأمن والهداية لا يكونان لمشرك أبدًا لَمَا أشرك مع الله أحدًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام].

بظلم، أي: بشرك، ألم تسمَعْ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾[لقمان].

***

وينقسم الشِّرْك إلى خمسة أقسام:

الأول: شِرْكُ النَّسَبِ:

وهو أن تعتقد بأن الله له شريك أو ولد أو زوجة، أو يحتاج لأحد من خلقه، أو معه آلهة أخرىٰ، أو أن هناك أقطابًا يساعدونه في إدارة الكون، أو أن الملائكة بناتُ الله، كل ذلك يُبطِل اسم الله «الغني» عن خلقه، والغني بذاته، والكلُّ محتاج إليه، فهو سبحانه ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]، ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[الأنبياء] بل إن الكون يغضب ممن ادَّعَىٰ له ولدًا.

قال تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ

ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [مريم]، وهذا أشدُّ أنواع الشِّرك والكفر وأقبحُه، وهو من أشدِّ نواقض الإسلام والتوحيد، فالله تعالىٰ ليس له شبيه، أو مثيل، أو نظير، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يحتاج إلىٰ شيء، وكل شيء محتاج إليه لا يستغني عنه، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾[الإخلاص].

الثاني: شرك العبادة:

وهو أن تعبد غير الله، سواء كان المعبود صنمًا أو حجرًا أو شجرًا أو نارًا أو بقرًا أو بشرًا، أو تجعل بينك وبين الله واسطة في العبادة، كقول المشركين: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣].

وقال تعالىٰ في بيان واضح جليٍّ لا يقبل التأويل أو المجادَلة أو المكابَرة: ﴿ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد].

فالله عَزَّوَجَلَّ الذي خلق وَحْدَه؛ لذلك فهو المستحق للعبادة وَحْدَه، بلا شريك ولا وسيط.

وعن معاذ بن جبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: { **يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهَّ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهَّ؟**}، قُلْتُ: اللهَّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: {**فَإِنَّ حَقَّ اللهَّ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**} (١).

ولا شكَّ في أن هذا النوع من الشِّرْك هو ما كان عليه مشركو قريش، فقد عبدوا الأصنام، وجعلوها واسطة بينهم وبين الله تعالى.

الثالث: شرك المَحَبَّة:

وهو أن يُحب المسلم أندادًا - سواء كانوا من البَشَر، أو من الجنِّ، أو من الجماد - مثلَ حبِّه لله تعالى أو أكثر.

قال تعالى: ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾[البقرة: ١٦٥].

ومدلولُ هذه المَحَبَّة الطاعةُ، منها قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾**﴾[يس].

وعبادة الشيطان هي محبته المتمثلة في طاعته، ومنها قول النبي

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسِّيَر، ب: اسم الفرس والحمار، ح (٢٨٥٦)، ومسلم : ك: الإيمان، ب: من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم عليه النار، ح (٣٠).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ** }(١).

فبلغ حُبُّه للزِّيِّ واللباس والدرهم والدِّينار والمرأة مبلغَ الطاعة، فصارت هذه الأشياء معبودَةُ، والمعروف أن من أحبَّ شيئًا شغله حبُّه وعِشقُه إيَّاه عن حُبِّ الله تعالىٰ وطاعته؛ ومن ثَمَّ يكون قد جعل هذا الشيء الذي أحبه ندًّا لله تعالىٰ يتعلَّق قلبُه به مثل تعلُّقه بالله عَزَّوَجَلَّ.

والعقل السليم الرشيد لو فكَّر في حُبِّ الله تعالىٰ وحُبِّ غيره لَعَلِمَ أن حُبَّ الله تعالىٰ لا يقوَىٰ علىٰ منافسته أو الوصول إلىٰ مستواه أو الاقتراب منه أي حُبٍّ آخر.

◘ لماذا نحب الله عَزَّوَجَلَّ حبًّا معظَّمًا؟

١ـ لأن الله سبحانه اجتمعت فيه خصال المَحَبَّة كلها. فالغني يُحَبُّ والله هو الغني، والقوي يُحَبُّ والله هو القوي، والعظيم يُحَبُّ والله هو العظيم، والكريم يُحَبُّ والله هو الكريم، والعادل يُحَبُّ والله سبحانه هو العدل، ويستحيل أن تجتمع هذه الصفات عند أحد بكمالها وشمولها مثل اجتماعها في الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب: الحراسة في الغزو في سبيل الله (٢٨٨٧).

٢ـ لأن الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالق وَحْدَهُ وهذا لا يجتمع لغيره أبدًا، ويستحيل ذلك، والخالق بلا شكٍّ يُحَبُّ مَحَبَّة خاصة فريدة.

٣ـ لإنعام الله تعالىٰ علىٰ عباده: { **أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ** }(١)، قال تعالىٰ: ﴿ **وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ** ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

٤ـ لأن لقاءَ الله عَزَّوَجَلَّ أعزُّ وأغلىٰ لقاء، فهو لقاء القمة: العبد الفقير والرب العظيم الغني العزيز، وهو أحب إلىٰ النفوس المؤمنة، فمن أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءَهُ، ومن كرِه لقاء الله كره الله لقاءَهُ.

فكم تكون المَحَبَّة لمن يرتقي ويشتاق لهذا اللقاء؟

وكان من دعائه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ** }(٢).

٥ـ لانفراد الله تعالىٰ بالألوهيَّة والربوبيَّة والملك، فهو سبحانه الإلهُ الحقُّ، وربُّ الناس، وملكُ الناس، ولا يشكُّ عاقل في أن مَحَبَّة الإله الملك الربِّ يجب أن تكون في مرتبة لا تصل إليها أيُّ مَحَبَّة أخرىٰ.

٦ـ لأن الله سبحانه هو المتفرِّد بالقضاء والقدَر، والعزِّ والإذلال، والغِنىٰ والفقر، والإحياء والإماتة، وإليه المرجع والمصير، وهو سبحانه

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٣٧٨٩)، وقال: حسن غريب، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.
(٢) أخرجه أحمد (١٨٣٢٥)، والنسائي: ك: السهو (١٣٠٥)، (١٣٠٦). واللفظ له.

الذي لا يُسأل عما يفعل، يُدخِل من يشاء الجنَّة، ويُدخِل من يشاء النار.

فكانت محبَّةُ العبد لله محَبَّةً عظيمة فريدة؛ طمعًا في رحمته وجنته التي لا يملكها غيره، وخوفًا من ناره وعقابه الذي لا يملكه غيره.

• هذا بجانب حفظِ الله تعالىٰ لعبده، وصبره عليه، وحِلمه عليه، وفتح باب توبته إذا تاب وأناب، وسِتره عليه عشرات المرَّات، وهو سبحانه الكافي لعبده، المالك والمتفرِّد في كل حركة يعملها العبد، وكل نَفَسٍ يتنفَّسه، سبحانه ذو الجلال والإكرام (١).

• وقد فصَّل الله تعالىٰ هذه المَحَبَّة تفصيلًا جميلًا دقيقًا في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة]. ففي هذه الآيات:

• التحذير من محَبَّة الآباء والإخوان وهم علىٰ الكفر، فقد بيَّن الله تعالىٰ لهم مظاهر هذا الحُبِّ من: الموالاة، والنصرة، والتأييد، والرضا،

(١) راجع كتاب: كنوز المَحَبَّة للمؤلف ـ غفر الله له ـ.

وأباح فقط من المَحَبَّة لهم: الصحبةَ للوالدَين بالمعروف ما لم يكونا من المحاربين لله ولرسوله، والبرّ و القسط.

وقيَّد الطاعة للوالدَين ولكل ما سوى الله تعالى بالمعروف.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ** }[1]، والأصل: أنه لا طاعةَ لمخلوق إذا أمر بمعصيَة الخالق جلَّ وعلا.

• وبينت هاتان الآيتان أمرين عظيمين هما: مَحَبَّة الله ورسوله، ومَحَبَّة الجهاد في سبيل الله تعالى.

وحذَّر الله تعالى فيهما من أن يتنافس على هذه المَحَبَّة: حُبُّ الآباءِ، أو الأبناءِ، أو الإخوان، أو الأزواج، أو العشيرة (القبيلة والعائلة)، أو حُبُّ جمعِ الأموال والانشغالِ بها، أو حُبُّ التجارةِ والحرص عليها، أو حُبُّ بناءِ المساكن وتأثيثِها وتحسينِها.

ثمانية أشياء، كل واحد منها يحتل مكانة كبيرة في نفوس الناس، فمَحَبَّة الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والأهل وصلة الأرحام كلها يجب أن تخضع لمَحَبَّة الله تعالى، وتكون تابعةً لها، نابعة منها.

• جَمْعُ المال من حلال طيب لكي يستغني به المسلم عن سؤال

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأحكام، ب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن مَعصِيَة، ح (٧١٤٥)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: وجوب طاعة الأمراء في غير مَعصِيَة وتحريمها في المَعصِيَة، ح (١٨٤٠).

الناس شيء مأمور به وحسن في الشرع، بشرط ألا يشغله عن محبَّة الله تعالىٰ وطاعته.

• والتجارة من أعظم الأمور بركة في الرزق، وكذا الزراعة، والصناعة، والتعليم، وتسعة أعشار الرزق في التجارة، والتاجرُ الصدوق مع الملائكة الكِرام البَرَرَةِ، وإن التجَّار هم الفُجَّار إِلَّا من برَّ وصدق، فلا تشغله التجارة ومهارته فيها عن محبة الله تعالىٰ، وأداء حقوقه وفرائضه.

• والمسكن الواسع الفسيح المرتَّب المنظَّم النظيف، قد يكون من علامات رضا الله علىٰ عبده شريطة التوفيق والإعانة علىٰ شكر الله تعالىٰ علىٰ هذه النعم.

والزوجة المطيعة، والدابة السريعة من توفيق الله تعالىٰ لعبده المؤمن.

ولكل هذه الأصناف الثمانية ضابط حتىٰ لا تخرج هذه المَحَبَّة عن جذورها، ألا وهو: أَلَّا تشغلَه محبتُه لهم، وودُّه إِيَّاهم وسعيه عليهم عن طاعة الله تعالىٰ، وأداء عبادته، وإقامة دينه ونصرته، وإلا صاروا بذلك أعداءً له، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[التغابن].

• ومَحَبَّة الثمانيَّة داخلة ضمنيًّا في مَحَبَّة الله ورسوله، ويجب أن تكون

عونًا ومساعدًا على ذلك، لا أن تكون منافسًا أو مُلهِيةعنها.

• قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** }(١)، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**} فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ، وَاللهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **الآنَ يَا عُمَرُ** }(٢).

• ولا يجد المسلمُ حلاوةَ الإيمان ولذَّة الطاعة حتى تتوافر فيه هذه الثلاث الواردة في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ** }(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الإيمان: ب: حُبِّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان ح (١٥)، ومسلم: ك: الإيمان: ب: وجوب محَبَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ح (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الإيمان والنذور، ب: كيف كانت يمين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٦٦٣٢).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الإيمان، ب: حلاوة الإيمان، ح (١٦)، ومسلم : ك: الإيمان، ب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ح (٤٣).

والأصلُ هو أن ينال المسلم مَحَبَّة الله سبحانه، وأن يكون له قدر ومكانة ومقام عند الله ﷻ، وأن يشغل فكره وعقله ووقته ليفكر كيف يصل إلى هذه المَحَبَّة وينالها، ولقد بيَّنه الله سبحانه في كتابه، ورسوله ﷺ في سُنَّته، فليس الأمر في محبتك لله تعالى، فالكلُّ يدَّعيها، ولكن الأهم أن يحبَّك الله عَزَّوَجَلَّ.

والجزاء من جنس العمل: فلا شك أن من أحب الله مَحَبَّة مفضَّلَة، وتحولت هذه المَحَبَّة إلى واقع عملي في حياته:

١- فآثر أمر الله تعالى وأمر رسوله على أي أمر آخر، وإن خالف هواه.

٢- وفعلَ أوامر الله تعالى، وتجنَّب نواهيه، وهو في غايَة الرضا والسرور والسعادة.

٣- وأحبَّ سماع كلامه، والوقوف بين يديه مصليًا عابدًا خاشعًا، فمن أحبَّ شيئًا أحبَّ لقائه وسماعه.

٤- وآثر رضاه على هواه ونزواته ورغباته، وبلغ به الشوق مداه، وسعى إلى ما فيه رضوانه ورضاؤه، وارتقب موعد لقائه.

٥- وراقبه أشد مراقبة، وخاف من فواته أو فقد محبتَه، فمن وجد الله تعالى وجد كل شيء، ومن فقد الله تعالى فقد كل شيء، وكان على حذر من أن يغضب عليه أو يهمله بمعاصيه وتقصيره.

ورحِمَ الله من قال: «**إن لله عبادًا هانُوا على الله فعَصَوْهُ، ولو عَزُّوا عليه لعَصَمَهُمْ**».

فكل من استبدل محَبَّة الله تعالىٰ، بمَحَبَّة غيره أو ساوَىٰ بين المحبَّتين فقد ورَّط نفسه في شرك المَحَبَّة.

الرابع: شرك التشريع والتحزُّب:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾[التوبة: ٣١]، وكانت هذه الآيةسبب اعتراض الصحابي الجليل **عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ**، وكان نصرانيًّا ثم أسلَم.

فعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ﴿ **ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾، قَالَ: قُلْتَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ قَالَ: { **أَجَلْ وَلَكِنْ يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ** }(١).

ويلحق بهذا النوع من الشرك الذي يحل ويحرم بهواه: شرك التحزب، فهو نابع من اتباع الهوىٰ. قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ**

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: ك: آداب القاضي، ب: ما يقضي به القاضي ويفتي به (٢٠٣٥٠)، وأخرجه بنحوه الترمذي، ح (٣٠٩٥).

﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم]. فجعل الله تعالىٰ من صفات المشركين أنهم فرقوا دينهم بتهاونهم في الحلال والحرام، وكانوا شيعًا وأحزابًا وفق أهوائهم.

الخامس: شرك الدعاء:

هذا النوع من الشِّرْك يلتبس علىٰ كثير من المسلمين بسبب تزيين الشيطان لهم، وذيوعه وانتشاره، ووجود مدافعين عنه من أرباب الطرق وروَّاد المساجد التي بها أضرحة تُزار، وأكثر حديث القرآن علىٰ الشِّرْك من هذا النوع.

وشِرك الدعاء: هو شِرك المسألة والطلب، كطلب شيء من الله تعالىٰ عبر واسطة، أو سؤال الأموات من الأنبياء والرسل والصالحين والأولياء، أو التماس البركة والنفع في حجر أو شجر أو مقصورة من نحاس أو معدن.

والله غنيٌّ عن الوُسطاء والشُّفعاء، ولا يقبل أي واسطة بينه وبين خلقه، وبخاصةٍ في العبادة والدعاء، والآيات كثيرة، تلك التي وردت تُحذِّر وتُنذِر وتُصف المشركين شركَ الدعاء بأنهم أشدُّ الناس ضلالًا، ولا يفقهون، ولا يعقلون، ومرة أخرىٰ أنهم أعداء الأنبياء يوم القيامة.

• **ومن الشِّرْك** أيضًا: الحَلِف بغير الله، والرُّقَى الشِّرْكيَّة، والتِّوَلَة، والتمائم، والطواف حول غير الكعبةِ، والتبرُّك بالأحجار والشجر والجمادات. وقول القائل: (**ما شاء اللهُ وشئتَ، ولولا الكلبُ لدخل اللصُّ**).

◘ الأدلة من القرآن الكريم التي تحذِّر من هذا الشِّرْك:

(١) قال تعالى: ﴿**قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾**﴾ [الأنعام].

(٢) قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾**﴾ [الأعراف].

(٣) وقال تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ**

صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف].

والله تعالىٰ لو لم ينزِّل من القرآن إِلَّا هذه الآيات في هذا الأمر لوَسِعَتِ الناسَ، ومنعتهم من سؤال الأمواتِ من الأنبياء والأولياء وغيرهم.

آيات في غايَة البيان والبلاغة والرَّوْعَة، يُفسِّر بعضُها بعضًا ولا تدع مجالًا للشكِّ أو الريب أو فرصة للجدال والمراوغة من الحق، وبخاصة لمن يُسوِّل لهم الشيطان أن هذه الآيات نزلت فيمن يدعو الأصنام، وأعمىٰ هؤلاء عن قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[الأعراف: ١٩٤].

وتأمّل معي ما يلي:

١ـ هؤلاء الأنبياء والصالحون والأولياء الأموات هل خلقوا شيئًا؟! أليسوا مخلوقين وبشرًا أمثالنا؟! فما فائدة سؤال مخلوق وترك سؤال الخالق عَزَّوَجَلَّ؟!

٢- وهم مع كونهم مخلوقين بشرًا، لا يملكون لأنفسهم نصرًا، ولا يملك السائل لهم نصرة لهم لا في القبر ولا يوم القيامة.

٣- لا يَسمعون ولا يَستجيبون، وليست لهم مشاركة معكم في عبادة؛ لأنهم أموات غير مكلَّفين، فكيف تتقرَّبون أنتم لهم بأشرف عبادة، وهي الدُّعاء.

والنبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: { الدُّعاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ }[1].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾[غافر].

فأي عقل يَستسيغ أن يسأل السليمُ العاجزَ، وأن الحي يسأل الميت، وأن الصحيح يسأل المعلول في قبره ؟!.

٤- ثم تأتي القاصمة، كيف يساعدك الميت وهو في حالة من اثنتين: إمَّا بليت أعضاؤه وصارت ترابًا، فلا أرجل ولا أيدي ولا أذن، وفي هذه الحالة أنت تسأل تُرابًا وسرابًا.

وإمَّا أن الله عَزَّوَجَلَّ حفظ هذه الأجساد في قبورهم، كما حرَّم على

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٣٩١)، وأبو داود: ك: الصلاة، ب: الدعاء، ح (١٤٧٩)، والترمذي في أبواب تفسير القرآن، ب: ومن سورة البقرة، ح (٢٩٦٩)وقال: « حسن صحيح»، وابن ماجه: ك: الدعاء، ب: فضل الدعاء، ح (٣٨٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرى»، ح (١١٤٠٠).

الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، ولكنهم أيضًا في هذه الحالة لا يملكون شيئًا لمساعدتك ونُصرتك وتلبيَة رغباتك، ولا شفاعة لهم إلَّا يوم القيامة في الشفاعة العُظمَىٰ بإذن الله تعالىٰ، والأنبياء يعتبرون سؤالك لهم شِركًا يعادونك به يوم القيامة.

٥- ثم يبيِّن الله تعالىٰ أنه وَحْدَه هو الولي الذي أنزل القرآن وعلَّمك العبادة والدُّعاء، وهو سبحانه يتولىٰ الصالحين يسمع شكواهم ونجواهم، ويجيب دعاءهم، وهو قريب منهم.

فمن الذي يستغني عن ولايَة الله تعالىٰ له بولايَة بشرٍ أموات ؟! واللهِ إن هذا لشيء عُجاب.

* * *

(٤) وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾

كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس].

وتأمَّل في هذه الآيات:

١ـ توهَّم وتخيَّل هذا الموقف يوم القيامة، حين يجمع الله تعالىٰ الفريقين، ويوقِفُهم (الدَّاعي والمدعو)، وانظر كيف يتبرَّأ منهم ومن كفرهم وشركهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [يونس].

إنما كانوا يعبدون الوَهَم والهوَىٰ والجهل والكُبَراء وعلماء السوء، ومشايخ العبَث والطرُق.

٢ـ انظر وتأمل جملة: ﴿رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأنعام: ٦٢]، فأي ولايةأخرىٰ ضلال وافتراء ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾.

٣ـ مَن يستحق الطلب والدعاء: الله الرزَّاق صاحب خزائن كل شيء، أم الولي المقبور الذي لا يملك حبَّة خردل أو قطميرًا ؟!

مَن تسأل وتتوجَّه إليك بقلبك وجوارحك: الذي يملك السمع والأبصار، ويُخرج الحيَّ من الميت، ويُخرج الميت من الحيِّ، ويُدبر

الأمر أم الذي لا يملك شيئًا ؟! بلا شكٍّ تسأل الله عَزَّوَجَلَّ وَحْدَه.

٤- ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾. هو الله المستحق للعبادة وَحْدَه، وهو الربُّ المسؤول عن شؤون خلقه المدبِّر لها، وهو سبحانه الحق، فماذا يكون بعد الحق ؟!﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ ﴾.

٥- هل من هؤلاء الأولياء والشُّركاء من بدأ الخلق مع الله؟ ومن أحق بالاتِّباع والسؤال: صاحب الهدايَة والتوفيق لها، أم من لا يملك لنفسه هدآيَةولا توفيقًا: ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ ؟ [هود: ٨٨].

٦- على هؤلاء ترك هذا الظن السَّيِّئ بسؤال الأموات، ولأنه لا ينفعهم عند الله تعالى، ولا يغني عن الحق شيئًا لكونه باطلًا في باطل.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ ﴾[يونس: ٤٩].

فإذا كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أعظم البشر وأعلاهم قدرًا ومكانة لا يصل إليها ملَكٌ مقرَّبٌ، ولا وليٌّ صالح. لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فكيف بمن هو دونه؟!

***

(٥) وقال تعالى على لسان نبيِّه يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعۡبُدُونَ مِن

دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف].

وفي هذه الآيات:

١ـ هل يتخذ المسلم له ربًّا واحدًا هو الله الواحد القهَّار، يدعوه ويسأله ويحتاج إليه ويطلب منه، وهو عبده وهذه العبوديَّةالحقَّة، أم يتخذ أربابًا متفرقة لا خير فيها البتَّة ربًّا يسألها من دون الله تعالىٰ؟

٢ـ إن هي إلا أسماءٌ يُسمِّيها الناس: هذا قطبُ الأقطاب، وهذا وليٌّ له علامات وكرامات وحركات، وهذا سرُّه باتع، و.. هل أنزل الله تعالىٰ في دينه (قرآن وسُنَّة) هذه الأسماء وهذه الألقاب ؟! وإذا لم ترد في الكتاب والسُّنَّة فهي إذن من البدع وليست من الإسلام في شيء. بل الإسلام الصحيح منها بريء.

٣ـ ولقد حكم الله تعالىٰ في القضيَّة فقال: ﴿**إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ هذا الحكم الفصل في الموضوع والتحاكم إلىٰ الله تعالىٰ هو العبادة: ﴿**أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ**﴾ أي: لا تعبدوا غيره، ولا تسألوا غيره فهذا هو الدِّين القيم، وإن شذَّ عن ذلك الكثرة ﴿**وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾.

وقد كنت أتعجَّب من هذا الكمِّ الكبير الغفير الذي يشدُّ الرِّحال إلى مساجد الأولياء، وموالدهم، وكنت أقول هل يُعقل أن كل هذه الكثرة على باطل؟ حتى قرأت وفهمت هذه الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ [ص: ٢٤].

وقال أحد علماء السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليكَ بطريق الحقِّ، ولا تَسْتَوحِشْ لِقِلَّةِ السَّالِكِين، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ البَاطِلَ، وَلا تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الهَالِكِينَ».

ويقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: « الجماعةُ ما وافقَ الحقَّ وإن كنتَ وحدَكَ ». فلا يُعرَف الحق بالكثرة، ولا الباطل بالقلَّة، إنما يُعرَف الحق بقول الله تعالى وقول نبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالحقِّ نحكم على الرجال ونعرِفُهم به.

***

(٦) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ١٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾ [الرعد].

في هذه الآيات:

١ـ لله عَزَّوَجَلَّ يسجد من في السماوات والأرض طوعًا وكرهًا، تجد الكافر يسير وظلّة بجواره ساجد لله عَزَّوَجَلَّ.

٢ـ الله سبحانه ربُّ السماوات والأرض فلماذا نتخذ من دونه أولياء؟ كيف تتخذون الأولياء من دون الله؟ هم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ؟ فهم لا يملكون لغيرهم من باب أَوْلى نفعًا ولا ضُرًّا. فما فائدة سؤالهم إذن؟ وصرف النذور إليهم، وتعلق القلوب بهم ؟!

٣ـ هل يستوي الظلام والنور؟! كذلك لا يستوي ظلام الشِّرْك ونور التوحيد، كما لا يستوي الأعمى والبصير، والمرء إذا أغمض عينه فهذا بصر وراءه بصيرة.

فمَن يسأل غير الله عَزَّوَجَلَّ فهو أشدُّ الناس عمًى، لأنه أعمى البصيرة لأن قلبه تعلق بغير الله عَزَّوَجَلَّ.

٤ـ هؤلاء الذين يعيشون في ظلام الشِّرْك، وعمى البصيرة، هل شاهدوا لهؤلاء الأولياء والشُّرَكاء خلقًا مع خلق الله عَزَّوَجَلَّ ؟! أليس الله تعالى هو خالق كل شيء، وهو الواحد المتفرِّد في ذلك، القهَّار الغالب على خلقه جميعًا ؟ أليس يستحق ذلك التذلل له بالسؤال والدعاء؟!

٥ـ السؤال مذلَّة ونوع من أنواع الاحتياج، وهذا نوع من الذُّلِّ، حرَّمه الله تعالىٰ علىٰ المسلم، وشدَّدَ عليه سؤال غير الله لما فيه من المذلَّة والإهانة وأباح له سؤاله وَحْدَه، فهو العزَّة والكرامة، لأنه سؤال المخلوق للخالق، العاجز للقادر، الفقير للغني، العبد للربِّ عَزَّوَجَلَّ.

***

(٧) وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١ ﴾[النحل].

تَعني هذه الآيات أن الذين يسألون الأموات وهم في قبورهم جهَلَةٌ بحقيقتين:

الأولى: أنهم من خلق الله تعالىٰ، وليس لهم أي صفة من صفات الإلهيَّة، وأولها صفة الخلق، فهم لا يخلقون شيئًا. فكيف يُترك سؤال الخالق ويسأل المخلوق؟!

الثانية: أنهم بشرٌ مخلوق، أموات لا يملكون شيئًا، ولا سمعًا ولا بصرًا، يعني لا قدرة لهم علىٰ العطاء، وليس لديهم حواسٌّ يسمعون بها أو يشعرون، ومع ذلك العجز وسلب الإرادة منهم هم في جهل وحاجة أمثالكم، ولا يعلمون ولا يشعرون متىٰ القيامة؟ ومتىٰ يُبعثون من قبورهم للحساب والجزاء من الإله الحق؟ وليس

لهم أي صفة من صفات الأُلوهيَّة، وأولها صفة الخلق، فهم لا يخلقون شيئًا. فكيف يَترك سؤال الخالق ويُسأل المخلوق؟!

وفي هذه الآيَة وغيرها ردٌّ على الذين يظنون أن هذه الآيات قد نزلت في عبادة الإصنام لا غير.

***

(٨) وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [النحل].

سبحانَ الله.. كذبٌ على الله تعالى، وكذبٌ على أنفسهم في الدنيا، واتِّهام للكذب، وإلقاء التُّهَم على بعض يوم القيامة.

(٩) قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء].

وهذه الآيات اشتملت على أنواع الشِّرْك الثلاثة، فهو سبحانه لم يكن له ولد يُعبد معه أو من دونه، ولم يكن له شريك يسأله الناس ويطلبون منه، ولم يكن له وليٌّ ينال مَحبَّة الناس وودَّهم، يتودَّدون إليه خاشعين متذللين باكين، يتوسلون به إلى الله تعالى، فالله ﷻ هو الكبير

وَحْدَه المتعال وَحْدَه، المعبود وَحْدَه بلا شريك أو معين أو ولي، سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

***

(١٠) وقال تعالىٰ علىٰ لسان نبيِّه أفضل الخلق وأعلاهم شرفًا ومنزلة ومكانة وقدرًا سيدنا محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [الكهف].

تأمَّل في هذه الآية:

١ـ كلمة «قل» للتبليغ والإعلام والإخبار، وقول النَّبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوق كل قول، ومقدَّم علىٰ كل قول ورأي، ولا يجوز تقديم قول أحد من الناس أو الحكماء أو المشايخ أو العلماء علىٰ قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

٢ـ وصف نفسَه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه بشرٌ مثلُنا، وما دام اتَّصف بالبشريَّة فهو يتعرَّض للمرض والصحة، والعجز والقوة، ولا يستطيع ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا أو نفعًا إلَّا بإذن الله تعالىٰ، وما دام بشرًا فلا يجب أن يكون معبودًا أو واسطة بين الله وخلقه في العبادة بعد مماته.

٣- (يوحَىٰ إِليَّ): الواسطة بين الله عَزَّوَجَلَّ وخلقه (الرسالة والتبليغ) وهذه هي الميزة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يوحَىٰ إليه من الله عَزَّوَجَلَّ، ومأمور بتبليغ هذا الوحي، وهذا الوحي هو: مراد الله تعالىٰ من عبده ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧].

لذلك فاتِّباع النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أمور الوحي فرض عين علىٰ كل مسلم، وطاعته واجبة في ذلك: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧].

أمَّا شؤون الدنيا، فقد قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ }(١).

والله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من الأعمال والعبادات إِلَّا ما كان موافقًا لمراده وخالصًا لوجهه الكريم، ومراده هو الذي أتىٰ به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القائل: { مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ }(٢). أي: مردود علىٰ صاحبه، فلا يُقبَل، ولا يتقبَّله الله تعالىٰ.

فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه فقد أبىٰ، أي: رفض،

---

(١) سبق تخريجه، ص (٢١).
(٢) سبق تخريجه، ص (٧).

كما قال ﷺ: { **كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى** }، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: { **مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى** } (١).

• **إذن فمَن يسأل الأموات، ويتمسَّح بقبورهم، ويذبح ويضع النذور عندهم، ويَعرِض شكواه عليهم ويناجيهم، فهو على خطر عظيم، وضلال بيِّن واضح، وشرك في المسألة (الدعاء) لا خلاف عليه بين أهل الحق قاطبة.**

وعلينا أن نسأله: عملُك هذا أكان يعلمه رسول الله ﷺ أم كان يجهله؟

فإذا قال: كان يعلمه، نقول له كذبت: لو كان يعلمه لبيَّنه القرآن ووضَّحَتْهُ السُّنَّة، ولَثَبَتَ ذلك في الأحاديث الصحاح، وما دام لم يثبت في الكتاب والسُّنَّة، فلا خير فيه، ونحن مأمورون في العبادات بالدليل والبرهان.

قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤** ﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، ب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ح (٧٢٨٠).

سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ [محمد].

• وإن قال لا يعلمه رسول الله: قلنا له الذي لا يعلمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ليس بدين ولا شرع، وكيف لا يعلمه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وعلمته أنت، ولا وحي بعد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟!

إذن فالأمر بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وهي شرُّ الأمور لقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **{وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ}** (١).

والبِدْعَةُ: هي كل عمل مخترَع في دين لله تعالى، يُضاهي الشريعة، وقد عرَّفها الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها: «طَرِيقَةٌ فِي الدِّين مُخْتَرَعَةٌ، تُضَاهِي الشَّرْعِيَّةَ يُقْصَدُ بِالسُّلُوكِ عَلَيْهَا المُبَالَغَةُ فِي التَّعَبُّدِ للهِ سُبْحَانَهُ» (٢).

وفي هذا التعريف ثلاثة أمور:

الأول: أن تكون أمرًا مستحدَثًا جديدًا لم يكن على عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأصحابه.

الثاني: أن يكون هذا الأمر المستحدَث في الدِّين أي في التشريع، فخرجت مستحدَثات الدنيا من البدع المذمومة.

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الجمعة، ب: تخفيف الصلاة والخطبة، ح (٨٦٧).
(٢) الاعتصام، للشاطبي (١/ ٥).

الثالث: أن تضاهي الشريعة، يعني تعارِض الثابت بالكتاب والسُّنَّة، يقصد بها المبالغة في النُّسُكِ والعبادة.

فالذي يزعم أن هناك بدعة حسنة يخالف قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ** }، وكأنه يقول: هناك بدعة ليست ضلالة! ولا شك أن هذا محادٌّ لله ولرسوله، فهو أحد اثنين:

إما أنه لا يعلم أنها من الكتاب والسُّنَّة، فهي إذن ليست بدعة، وإما أن يكون جاهلًا بقبحها وبدعتها، فهي إذن بدعة ضلالة.

والسُّنَّة على قسمين:

الأول: سُنَّة تشريعيَّة. **والثاني:** سُنَّة تنفيذيَّة.

فالسُّنَّة التشريعيَّة حق محض موقوف على الله ورسوله فقط.

والسُّنَّة التنفيذيَّة حق مكفول لكل مسلم يأتي من السُّنَّة التشريعيَّة قدر استطاعته ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[البقرة: ٢٨٦].

لذلك جمعَ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابة على إمام في صلاة التراويح في رمضان، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يُشرِّع صلاة التراويح، أو صلاتها جماعة في المسجد، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل ذلك.

إذن فليس فعل عمر بدعة، لأنها ليست مستحدثة، ولكونها من الدِّين ولم تضاهِ الشريعة بل وافقتها، وهي ليست من تشريعه.

وكذلك الرجل الذي جاء للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما دعا إلى الصدقة لأهل الصفة بملء كفيه صدقات عجَزَ عن حَمْلِها فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّة حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّة سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ }[1].

فالرجل الذي جاء بالصدقة، هو لم يشرِّعها ولم يَدْعُ إليها، إنما شرعها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعا إليها، ولكنه قام بسنَّة تنفيذيَّة بحمله صدقات عجز عن حملها.

• والعلم يدور على محاورَ ثلاثةٍ: كما في الحديث: { الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْل: آيَة مُحْكَمَةٌ، أَوْ سُنَّة قَائِمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ }[2].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي }[3].

وسؤالُ غيرِ الله تعالى من الأولياء والصالحين الأموات يقدح

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الزكاة، ب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، ح (١٠١٧).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الفرائض، ب: ما جاء في تعليم الفرائض (٢٨٨٥)، وضعَّفه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري: ك: النكاح، ب: الترغيب في النكاح، ح (٥٠٦٣)، ومسلم: ك: النكاح، ب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ح (١٤٠١).

ويتنافىٰ مع الإخلاص الذي هو أساس الدِّين، وأساس قبول العمل عند الله تعالىٰ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾. والعمل الصالح هو ما كان صوابًا أي: موافقًا لمراد الله تعالىٰ كما جاء في الكتاب والسُّنَّة، وكان خالصًا لوجهه الكريم. قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾[البينة].

والإخلاصُ ألا ترىٰ مع الله عَزَّوَجَلَّ أحدًا، وأنت تعبده، وأنت تسأله، وأنت ترجوه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾[الجن].

فمن أشد المحرَّمات أن تكون في بيت الله ومسجده، وتدعو وتسأل غيره.

إذن فالقضيَّة واضحة، فقد استبدل كثير من المسلمين شرك الدعاء بالتوحيد والدِّين الخالص لله تعالى، وهو أهم ما يتميَّز به الإسلام (عقيدة صافيَّة نقيَّة خاليَّة من الشِّرْك، والخرافات والخزعبلات)، عقيدة لا تعرف إلا العبوديَّة لله عَزَّوَجَلَّ، وجلب النفع، فلا حول ولا قوة إلا بالله وَحْدَه العلي العظيم.

والتوحيدُ أساسه في القلب. أين تجد قلبك؟ مع مَن؟ يرجو مَن؟ يحب مَن؟ يخاف مَن؟ يتوكل ويعتمد على مَن؟ بمَن يتعلق ويأمل في تفريج الكروب، وستر العيوب، والعطاء بلا حدود؟

قال تعالى تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة].

فهل يخشى المؤمنُ غيرَ الله تعالى؟ وهو على علم ويقين أن النافع والضارَّ هو الله وَحْدَه، وأنه لا يوجد أحد من الناس يملك له ضرًّا أو ونفعًا، أو يستطيع ذلك إلا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ وبأمره.

وكما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **{ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ }** (١).

فالذي يخاف من بطش أو أذى بشر قد صاروا في عالم البرزخ (القبر)، أو يرجو نفعهم، فهذا هو الشِّرْكُ بعينه، والضلال البيِّن الواضح.

فمن استبدل الشِّرْك بالإيمان بالله فقد وقع في شِراك إبليس - نعوذ

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، ح (٢٥١٦)، وقال: «حسن صحيح».

بالله منه -، ويُخشَىٰ عليه من أن يستبدله الله عَزَّوَجَلَّ، ويحشرَه مع أهل الشِّرْك والخسران.

***

(١١) وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ .

أي: من أراد الله وَحْدَه وكان حريصًا علىٰ لقاء الله تعالىٰ فليعمل عملًا صالحًا موافقًا لما شرع، ولا يشركْ مع الله في عبادته أيَّ أحدٍ.

***

(١٢) وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[مريم].

انظر كيف سمَّىٰ الله تعالىٰ سؤال غيره، وخاصة الأموات، وكيف اتخذوهم آلهة، وظنوا أن هذا طريقُ عزَّتهم، فبيَّن الله تعالىٰ أنَّ هؤلاء الأموات سوف يكفرون بهذه العبادة الباطلة، ويكونون أعداءً وضدًّا لهم.

***

(١٣) قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾[الأنبياء].

سبحان الله! كيف يترك العبد سؤال من يرعاه ويرزقه ويشفيه ويحفظه ويستره وينعم عليه بالليل والنهار هدايَة ورعايَة، وليس أحد في الكون يستطيع أن يحجب أو يمنع قضاء الله عَزَّوَجَلَّ لعبده، أو رزقه أو أجله؟ وهؤلاء الذين سألوهم من دون الله عاجزون عن نصر أنفسهم وحمايتهم، وأظهر هذا العجز والضعف أنهم لم يستطيعوا دفع الموت عنهم، ولا نجدتهم إذا حلَّ بهم القضاء، ونزل بهم البلاء.

***

(١٤) وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾[الحج].

في هذه الآيات يدعونا الله عَزَّوَجَلَّ إلى الاستماع لهذا المثل بأذُن البصيرة.

مبيِّنًا أن الذين تسألونهم النفع وكشف الضر عنكم لم ولن يخلقوا ذبابًا، ولو اجتمعوا له وأرسلوا الخبراء وعلماء الأرض جميعًا، واستعانوا

بمن أرادوا من الجن والإنس، لأنه لا يقدر على الخلق إلا الله تعالىٰ.

ثم يُبيِّن الله تعالىٰ عجز وضعف السائل والمسؤول بقوله: ﴿ **وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ** ﴾، فإذا كان الضعف صفةً لازمة للسائل والمسؤول، فلماذا لا نلجأ إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ونقدره قدره وهيبته ومكانته، فهو سبحانه القوي الذي لا غالبَ له، والعزيز الذي لا منازعَ له.

لذلك أوصىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عباس وهو يُعلِّمه وهو غلام بقوله: { **يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ...** }(١)، فحصر النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السؤال والاستعانة بالله وَحْدَه.

***

(١٥) وقال تعالىٰ: ﴿ **قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: التوحيد، ب: قول الله تعالى: «ويحذركم الله نفسه» ح (٧٤٠٥)، ومسلم: ك: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ب: فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، ح (٢٦٧٥).

تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۚ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ [النمل].

تأمَّل في هذه الآيات هذه المقارنة بين الله عَزَّوَجَلَّ، وكلِّ ما يتخذه الناس شريكًا معه.

١ـ ﴿ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾؟!: سؤال لا يحتاج إلى جواب، فالجواب معلوم ومفهوم، فلا وجه للمقارنة البتة.

٢ـ هل يستوي الذي خلق السماوات والأرض بهذه العظمة وتلك القدرة، وأنزل المطر فأنبت الزرع على مختلف ألوانه وأشكاله وجماله، فهل يعدل أحد بعد هذه القدرة إلى سؤال غيره؟!.

٣- وهو سبحانه الذي جعل الأرض قرارًا، وأوجد خلالها أنهارًا، وجعل بين الماء العذب والملح الأجاج حاجزًا ، وليس معه إله أو شريك في هذه العظمة والقدرة، وفي ذلك دليل على جهل وخيبة من يسأل غيره الذي لا يملك مثل هذه القدرة أبدًا.

٤- وهذه الفاصلة القاصمة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؟!: يا مَن لك حاجة ووقعت في الاضطرار، وأصابك الضر! لا يملك لك أحد رفع الضر عنك، وكشف السوء الذي لحق بك إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يملك لك العزةَ والرفعةَ والغنى والأجَل سواه جلَّ وعلا، وتأمل قوله بعدها: ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾؟ وهذا يعني أن من أجلِّ خصائص الإلهيَّة كشف الضر، وإجابة المضطر، فكيف تُصَرَفُ إلى غيره؟!

٥- وَمَنْ غيرُ الله سبحانه يملك الهدآيَةوالتوفيق لكم، وإنقاذكم من التيه والحيرة؟، ومِن يملك الرحمة بكم سواه جلَّ وعلا؟!.

٦- ومَن الذي بدأ الخلق، ومن يعيده، ومن يرزقكم؟ هل عند هؤلاء المشركين به إجابة وبرهان ودليل أن مع الله سبحانه شريكًا في ذلك، أو أن غيره فعل ذلك؟

وإذا كان لا يوجد فلماذا يُسأل المخلوق الذي لا يملك قَدَرًا ولا رزقًا؟

٧- مَن يعلم الغيب في السماوات والأرض؟ ومَن يملك أمر البعث والحساب؟ إنه الله وَحْدَه لا شريك له، فيكون من العَمَى والضلال التعلُّق بغيره وسؤاله ورجاؤه، وجعله شريكًا أو واسطة.

***

(١٦) وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص].

يوم القيامة يُنادي المولى عَزَّوَجَلَّ أين هؤلاء الذين جعلتموهم شركاء لي سواء كانوا (أنبياءَ أو مرسلين، أو أولياء صالحين، أو مخدوعين طالحين)؟!

فردَّ عليه الذين حق عليهم القول بالعذاب والنيران ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ فأشاروا على مَن دلَّهم وخدَعهم ودعاهم إلى سؤال وعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ، سواء كانوا من الناس أو الشيطان.

فيتبرأ كل فريق من الآخر، ثم يُقيم المولى عليهم الحُجَّة الدَّامِغة: ادعُوا شركاءكم الآن كما كنتم تدعونهم وتسألونهم في الدنيا!

وقتها لا يجدون إجابة أو حُجَّة أو مخرجًا، وأيقنوا أن الأمر والملك

لله الواحد القهار، وكان الندم بعد فوات الأوان، فقالوا: يا ليتنا كنا مهتدين على الكتاب والسُّنَّة، وعلى العقيدة الصحيحة الخالصة النقيَّة من دَرَنِ الشِّرْك والخُسْران.

***

(١٧) قال تعالى: ﴿**وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾**﴾[العنكبوت].

القرآن الكريم أعظم مدرسة لفهم النفسيَّات، سبحان الله.. فهو يعلم السرَّ وما يخفى.

تقصُّ علينا هذه الآيةأن هناك مودة بين المشركين بعضهم مع بعض، ومصالح عندهم أهم من الدِّين والعقيدة، وأن شيخ الطريقة أعلى عندهم وأهم من الله ورسوله، وأنهم يهتمون باجتماعهم وأورادهم، حتى ولو كانت على الباطل والشِّرْك ﴿**مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾، لكن يوم القيامة يتلاعنون، ويتخاصمون، ويكفر بعضهم ببعض، ويلقون التهم على بعض، لكن بعد فوات الأوان وهم في جهنم، وما لهم من نصير ينصرهم، ولا ولي ينقذهم.

يا ليتَهُمْ يعتبرون بكلام رَبِّ العالمين قبلَ فَواتِ الأَوان.

(١٨) قال تعالى لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الروم].

هذه الآية في غاية الوضوح والبيان، وإقامة الحجة والبرهان، قالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «من زعم أن الموتى يسمعون كلام الأحياء فقد كذَّب القرآن، ثم قرأت هذه الآية»، وفي رواية: مَن زعم أن محمدًا كَلَّمَ الموتَى فقد كَذَّبَ القرآن، وقرأت قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر].

وما حدث يوم بَدْر من كلام النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقَتلى المشركين: هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا؟! كان بوحي من الله تعالى، فقد أسمعهم الله تعالى وأحياهم لنبيه لكي يجيبوه «نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا».

كما أحيا الله تعالى قتيل بني إسرائيل في سورة البقرة لنبيِّه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة]، فخرج القتيل من قبره، وقال: فلان قتلَني. ثم عاد ثانية.

وهذا لا يكون إلا لنبيٍّ من باب المعجزات الخاصة بالأنبياء.

فغيرُ الأنبياء لا يُوحَىٰ إليهم، ولا يَسمعهم الأموات، فكيف يخاطب الناس من مات من الأولياء والصالحين، ويزعمون أنهم يسمعون كلامهم، ويبحثون طلبهم، ويرفعونه إلىٰ الله تعالىٰ كواسطة بينه وبينهم؟!

***

(١٩) في سورة فاطر من أول آيَة فيها يُعَرِّفُنَا الله بنفسه بأنه:

١ـ فاطرُ السماوات والأرض، أي خالِقُها من غير مثال سابق.

٢ـ جاعلُ الملائكة رسلًا.

٣ـ يزيد في الخلق ما يشاء.

٤ـ علىٰ كل شيء قدير.

٥ـ مالكُ الرحمة للناس وَحْدَه.

٦ـ ليس هناك خالق أو رازق غيره.

٧ـ الذي يُرسل الرياح ويُحيي الأرض بعد موتها.

٨ـ له العزَّة جميعًا، والعلوَّ له سبحانه، فإليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه.

٩ـ خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم جعله أزواجًا ذكرًا وأنثىٰ.

١٠- سخَّر البحار ونوَّعها بين ملح أجاج، وعَذْبٍ فرات.

١١- خلق في البحار اللحمَ الطريَّ أنواعًا شتَّى من الأسماك والأحياء المائيَّة، والجواهر والذهب، واللؤلؤ والمرجان.

١٢- وسخرها لنا فجعل الفلك تسير فيها بفضله وبرحمته.

١٣- يُولج الليل في النهار، والنهار في الليل، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمَّى.

١٤- وذلك كله من أجل أن نشكره ونعبده ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

١٥- له الملك، والربوبية وَحْدَه.

١٦- وأن جنته رحمته، والنار عذابه جعلها للماكرين الذين ينكرون الحق بالمكر والحيلة والجهل الكبير.

١٧- وأن المغفرة لا يملِكها إلا الله وَحْدَه.

١٨- وأن الآجال والأعمال بيده وَحْدَه سبحانه.

١٩- وأن الهدايَة والضلال بمشيئته وَحْدَه.

٢٠- وأن مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى.

كل ذلك آيات في صدر سورة فاطر، يُبيِّن الله عَزَّوَجَلَّ فيها قدرته وأسماءه وصفاته وأفعاله وملكه وعظمته ورحمته وجاهه من خلال

عشرين دليلًا وبرهانًا: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ هذا هو الله عَزَّوَجَلَّ الرب الذي نعبده ونوَحِّدَه ونسأله ونلجأ إليه، ونستغيث به، ونشتاق إليه، وهو المحبوب المعظَّم، والملك المبجَّل، والإله الحق، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر].

وفي هذه الآيات عشر مسائل:

١ـ هذا الوصفُ السابق الشامل الكامل، هو وصف الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿رَبُّكُمْ﴾ أي المتكفِّل بكم، وهي كلمة تحوي كل معاني الربوبيَّة من: الخلق، والرزق، والرعاية، والملك، والكبرياء والعظمة.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ المستحق وَحْدَه للدعاء، والمجيب وَحْدَه لمن دعاه.

٢ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي تسألون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ كل ما سوىٰ الله من ملَك مقرَّب أو نبيٍّ مرسَل، أو وليٍّ صالح، أو أي واسطة أخرىٰ.

٣- ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ أي لا يملكون أي شيء، حتى ولو كان شيئًا حقيرًا صغيرًا، ما يملكون شيئًا البتة، فكيف يسأل الإنسان مَن لا يملك؟ ويترك المالك المتصرِّف؟!

٤- ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ يعني إن تسألوهم لا يسمعوا سؤالكم لسببين:

الأول: لأنه سؤال باطل.

والثاني: لأنهم أموات وهم في الحياة البرزخيَّة.

٥- ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: وهذا للتعجيز، ويحتمل الفرضيَّة، يعني لو أن الله تعالى أسمعهم ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لأنهم لا يملكون شفاعة ولا واسطة، وهم في عالم البرزخ والقبور.

٦- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ ما أوضح بيان القرآن، في أن سؤال الأموات يتأرجح بين الكفر ﴿يَكْفُرُونَ﴾ والشِّرْك ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾ فهذا شِرك المسألة الذي حذَّرنا الله منه.

٧- ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: يعني هل يظن أحد من الناس أن هناك مَن هو أعلم من الله عَزَّوَجَلَّ، وأكثر خبرة بخلق الله تعالى منه؟!

مستحيل بالطبع، فاستسلم لحكم الله وعلمه فهو سبحانه الخبير

بشئون عباده وما يصلحهم في الدنيا والآخرة.

أي بركة ترجوها، وأي خير تنتظره في أمر وصفه الله بالكفر، والشِّرْك، وعداوة أهله، وحرمان صاحبه من العفو والصفح والمغفرة، بل إحباط العمل لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر].

فهؤلاء يعيشون في وهم كبير، وعلى خطر عظيم من:

أليس الأسلمُ لهؤلاء البُعد عن سؤال غير الله تعالى، لسلامة دينهم، ولتلبيَّة رغباتهم، وقضاء حوائجهم، والانتساب إلى أهل الحق من أهل السُّنَّة جماعة المسلمين في كل عَصْر ومِصْرٍ، وعدم تكثير سواد المشركين أو الانتساب إليهم؛ لذلك قال الله تعالى بعدها:

٨ـ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ**﴾ إنها الحقيقة الغائبة عن هؤلاء، فكل إنسان فقير إلى الله تعالى، وهو فقر ذاتي يلزمه ولا يفارقه، ولا يستطيع إنكاره، يُقِرُّ به داعي الفطرة داخل كل إنسان، ولا ينكره إلا مكابر أو جاهل.

والفقر والافتقار إلى الله تعالى هو الغِنَى الحقيقي، الغِنى العالي، ونقيضه الغِنَى السافل، وهذا من لوازم العبوديَّة وخصائص الألوهية: أن يظل العبيد محتاجين إليه.

وهذه المعادلة الطبيعيَّة، فإن لم تكن فقيرًا إلى الله تعالى، واستكبرت افتقرت إلى غيره فتذوق ذلَّ السؤال والهوان والانكسار.

٩- ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾: فهو سبحانه عنده خزائن كل شيء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر]، وهو سبحانه مع ذلك الغَنيُّ عن خلقه، وهم المحتاجون إليه، ومع ذلك يُنعِم عليهم بنعم لا حصر لها، ولا حدَّ لها ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبراهيم: ٣٤]، كل ذلك بلا مقابل، وهو الغنيُّ عنهم، ولا يحتاج لهم، ورحم الله من قال: « **إنَّ الأغنياء يُعطونك بقدْرِ ما يَفضَحونَك، والذي يُعطيكَ فَيكْفيكَ، ويُنعِمُ عليك بنِعَمٍ لا حَصْرَ لها هو الله** ﷻ، **فغِناهُ لا مثيلَ له، سبحانَهُ ليس كمثلِه شيءٌ** ».

١٠- ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هنا تتحقَّق سُنَّة الاستِبدالِ ويتأكد معناها، وتظهر حقيقتها.

فمَن أصرَّ على سؤال غيره، والتعلق به، وجعله واسطة بينه وبين الله يجعله في صفوف المشركين، ويُعرِض عنه، فلا يحفظ له دينه، ويشغله بدنياه، ويؤكله لأمر نفسه وإلى الناس. كل ذلك جزاءً وفاقًا، فمَن استغنى عن الله عَزَّوَجَلَّ بسؤاله، استغنى الله عَزَّوَجَلَّ عنه، ومَن تقرَّب إليه شبرًا تقرب إليه سبحانه ذراعًا، والجزاء من جنس العمل.

يذهب الله بكم، ويأتي بقوم آخرين يُوحِّدونه، ويسألونه وَحْدَه هؤلاء الذين يُحبهم الله ويحبونه.

***

(٢٠) وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾[الزمر].

إن الغايَةمن نزول القرآن أن نعبد الله تعالىٰ مخلصين له الدِّين بلا شريك ولا وسيط، لأن الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل من الدِّين إلا ما كان خالصًا لوجهه الكريم.

ثم بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ كيف يُلَبِّسُ إبليس علىٰ الناس دينهم فيوهِمُهم أنهم يعبدون الله عَزَّوَجَلَّ، وما هؤلاء إلا وسيلة تقربنا إليه ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ وصف الله تعالىٰ هذه العلة الفاسدة بالكذب والكفر، وحرمان أصحابها من الهدايَة.

مساكين هؤلاء، فالله لا يهدي من هو كاذب بما جاء به محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدِّين الخالص، وجاحد بنعمة الله تعالىٰ عليه بالإسلام فضيعها بالشِّرْك والأوهام.

(٢١) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾[الزمر].

وقال تعالى في نفس السورة: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[الزمر].

وتأمل كيف وصف الله تعالى حالة هؤلاء النفسيَّة الذين يتخذون وسطاء بينهم وبين الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[الزمر].

***

(٢٢) وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦٓ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر].

الالتباس عند المفتونين بالمقبورين من الصالحين والأولياء، أنهم لا يعلمون أن سؤالهم هو الدعاء، وأن الدعاء هو العبادة، لذلك تأمل في هذه الآيات:

١ـ وصفهم الله بالجهل، أولئك الذين يأمرون الناس بعبادة غير الله عَزَّوَجَلَّ.

أولئك الجهَّال لو تعلَّموا أن سؤال الأموات من الصالحين والأولياء عبادة لما دعوا الناس إليها ولما فعلوا ذلك.

٢ـ في شرائع جميع الرسل والأنبياء من آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى خاتم الرسل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن من أشرك بالله في عبادة أو محَبَّة أو دعاء أو تشريع يخالف به شرع الله عَزَّوَجَلَّ حبط عمله، أي: لا ثواب ولا أجر له في الآخرة، ولا حسنات له ولا يتقبله الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون يوم القيامة من الخاسرين.

٣ـ ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الزمر]، فالمستحق للعبادة وَحْدَه هو الله عَزَّوَجَلَّ، والمستحق للشكر هو الله عَزَّوَجَلَّ.

٤ـ جمع الله تعالى بين الأمر بشكره والأمر بعبادته؛ لأن العبادة نوع

من الشكر، والشكر العملي لله عَزَّوَجَلَّ هو العبادة. فأقل ما يفعله العبد الصالح شكرًا لنعم الله عَزَّوَجَلَّ هو الإذعان والخضوع له في العبادة، فيركع معظِّمًا لله عَزَّوَجَلَّ، يُثني عليه الخير كله، وإليه يرجع الفضل كله، وله الأمر والحكم وَحْدَه، ويسجد متذلِّلًا له، خاشعًا مستكينًا داعيًا إياه لما يحتاج إليه، شاكرًا لأنعمه.

***

(٢٣) وقال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾** ﴾[غافر].

يوم القيامة تظهر الحقائق، وتنجلي الشبهات، ويتضح الحق ويعلو ويعز، ولن ينفع جدل هؤلاء عن الباطل، وكيف يجادلون وآيات الله تتلى عليهم، وأحاديث رسول الله بينهم؟! لماذا يُكذِّبون بالقرآن؟ وَبِمَ أُرسل به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من العقيدة الصحيحة، والتوحيد

الخالص؟!

سوف يعلم هؤلاء الحق عندما توضع الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم، ثم في النار يسجرون.

وهم كذلك إذ تسخر منهم الملائكة وتسألهم: أين ما كنتم تشركون من دون الله؟ ما نفعوهم، وما أنقذوهم بل ضلوا عنهم، حتى ظهر لهم الوهم الذي كانوا فيه في الدنيا: وقالوا: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

قال الله تعالى في ختام هذه السورة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر]، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[الزخرف].

سبحان الله: لماذا يُصرَف جزءٌ من العبادة الحقيقيَّة لله تعالى إلى بعض خلقه من عباده؟، انظر كيف يجمع هؤلاء بين الصلاة والصيام لله تعالى، ثم هم يجعلون جزءًا من عبادته لغيره! وذلك بسؤالهم الأموات.

(٢٤) وقال تعالى: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾**﴾ [الزخرف].

انظر وتدبر في صريح القرآن، هؤلاء الذين يسألون من دون الله لا يملكون شفاعة عند الله عَزَّوَجَلَّ لأحد من الناس ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ وهم الرسل الكرام، شهدوا الوحي وهو الحق، ونزلت إليهم الكتب وهي الحق، وقد قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾**﴾ [الأحقاف].

***

(٢٥) وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾**﴾ [نوح].

وهذه الآيات تحكي بداية ظهور الشِّرك في الأرض، فقصة الشِّرك

طويلة وممتدة منذ عهد رسول الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتىٰ يوم الناس هذا، واستمرارًا إلىٰ أن يَرِثَ الله الأرض ومن عليها، وفي آخر الزمان يُرسل الله تعالىٰ ريحًا طيِّبة تقبِض روح كل من كان قلبه إيمان، حتىٰ لا يقال في الأرض (الله الله)، ولا يبقىٰ علىٰ ظهر الأرض إلا شرار الخلق، وعليهم تقوم الساعة.

وهذا يكونُ بعد استكمال علامات يوم القيامة الصغرىٰ والكبرىٰ.

فالصغرى مثل: (ضياع الأمانة، كثرة الهرج (القتل)، العلو في المباني (الأبراج)، تقليد المسلمين للنصارىٰ واليهود، ينطق الرُّوَيْبِضَةُ ويقل العلماء، تقارب الزمان، قطيعة الأرحام، أن تلد الأُمَّة ربَّتَها، كثرة المال، تقارب الأسواق، فشو القلم) وغيرها.

والكبرى مثل: (كثرة الخسف والزلازل، الدابة الجساسة، يأجوج ومأجوج، المسيح الدجال، نزول عيسىٰ بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وموته، خروج المهدي، خروج الشمس من المغرب، تخريب الكعبة، كلام الشجر (إلا الغرقد) والحجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله، عودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا، جفاف بحيرة طبريَّة، يبس نخل بيسان، وانحسار الفرات عن جبل من الذهب، واقتتال الناس عليه) وغيرها.

وسبب ظهور الشِّرْك في الأرض، وعبادة الأصنام:

الغُلُوُّ في الصالحين بعد مماتهم، وجعلهم واسطة بين الله عَزَّوَجَلَّ وخلقه، بسؤالهم لهم ومناجاتهم، والشكوى لهم، وطلب الشفاء والنجاح ورفع الضر، وكشف الكروب منهم.

فقد كان: هؤلاء الخمسة (ودٌّ وسُواعٌ ويَغوثُ ويعوقُ ونسرٌ) من أبناء نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقيل كانوا أنبياء، وقيل علماء على دين نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكانوا متقاربين، وماتوا جميعًا الواحد تِلو الآخر في أيام قلائل، فحَزِنَ الناس عليهم حزنًا شديدًا، فقد كانوا يتعلمون منهم الخير، وعم الأمن والأمان، والطمأنينة والسلام، وأحبَّهم الناس حُبًّا شديدًا، وقد كان لفراقهم ألمٌ شديد، وواقع أليم.

مضى الجيل الذي تعلم من هديهم وتعاليمهم حقبة طويلة من الزمن، وخرج جيل من أبنائهم أقل صلاحًا، وأميل إلى الفساد والشر، فقاموا بعمل تماثيل وصور لهؤلاء، ووضعوها في أماكن عبادتهم، ومحل صلواتهم، وقالوا: كلما نظرنا إلى هذه الصور والتماثيل تذكرنا أقوالهم وتعاليمهم فنقوم بها، وَيُذَكِّرُ بعضنا بعضًا.

ثم رحل هذا الجيل، وجاء الجيل الذي يليه فقالوا: آباؤنا ما وضعوا هذه التماثيل في محل عبادتنا إلا لأنهم أناسٌ أطهارٌ أخيارٌ، لا

ذنوب لهم، ونحن ملوَّثون بالمعاصي والسيئات، فشرعوا يتقربون إليهم بالطاعات، رغبة في قيامهم بعرض أعمالهم على الله تعالى، لأنهم يستحيون من عبادة الله تعالى مباشرة وهم على دنس ورجس ونجاسة، فجعلوهم وسطاء وشفعاء بينهم وبين الله تعالى وقالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ**﴾ وقالوا: ﴿**هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾ [يونس: ١٨].

من هنا بدأت عبادة الأصنام، وصارت الأصنام آلهة تعبد من دون الله تعالى. قال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾**﴾ [نوح].

فكانت النتيجة: ﴿**مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾**﴾ [نوح].

لذلك شَدَّد الإسلام على تحريم التماثيل، وسؤال الأموات، وعلى جعل أي واسطة بين العبد وربه، مهما كانت، حتى ولو كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل الخلق.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا شَاءَ اللهُ، وَشِئْتَ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا**

بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَه } (١).

سأله بعض الأعراب: «الله بعيد فنناديه أو قريب فنناجيه»، فنزل قوله تعالى مباشرة بدون كلمة (قُلْ): ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة].

مع أن معظم أسئلة الصحابة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن ينزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوابًا لها بـ ﴿قُلْ﴾، ومن ذلك:

- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ [طه].
- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
- ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[الأحزاب: ٦٣].

بينما في أمر الدعاء قال لنبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة].

فلم يقل له: (قل إني قريب) حتى التبليغ بكلمة «قل» حذفها لأنها واسطة بينه وبين عباده.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (١٨٣٩)، وصحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

◘ **سورة الصمد**: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

وهذه السورة التي تعدِل ثلث القرآن، وهو سبحانه «أَحَدٌ» لا شبيهَ له ولا نظيرَ ولا مثيلَ ولا نِدَّ ولا مُعينَ، ولا ولدَ، ولا والدَ، الكُلُّ مخلوق له، والكلُّ يَصمُد إليه في حاجته وسؤاله، وهو سبحانه لم يكن له كفُوًا أحد.

فلماذا جعلوا له شفعاءَ ووسطاءَ وأولياءَ وأقطابًا؟! تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، سبحان الله وتعالىٰ عما يشركون.

فتوحيد الله تعالىٰ، وإفراده وَحْدَه بالسؤال واليقين فيه تعالىٰ هو خير وسيلة للعبد الصالح عند الأزمات، وثبات الأقدام عند الشدائد.

وصاحب الثقة في الله تعالىٰ صامد ثابت، قرير العين، عزيز النفس، فمن وثِق بوعد الله تعالىٰ وما عنده من خزائن، وتعلَّق قلبه بذلك، وآمن بقدرته علىٰ كل شيء استقام علىٰ جادَّة الصواب، وتولدت عنده شجاعة تُقوِّي قلبه علىٰ اجتياز الأزمات بجرأة وإقدام، فما الشجاعة إلا شدة القلب عند البأس.

وهكذا فإن من عَفَّ وقنع ودامت ثقته بربه، تحقَّقت لديه عقيدة راسخة صحيحة في مولاه سبحانه، فيكتفي به، ولا ينظر أو يتعلق

بسواه، فإذا به أغنى الناس باحتمائه بربه واكتفائه به.

وسيظل ذلك دَيْدَنُ الصالحين في كل زمان ومكان، لا يلجئون لغير الله، ولا يسألون سواه، ولا يثقون إلا فيه وَحْدَه، مخلصين له الدِّين، ولو كره المشركون.

فمن قنع بذلك فقد حاز السعادة الكاملة، والطمأنينة التامة، وسارت خطواته في الحياة سَلِسَة آمنة مطمئنة.

لذلك قام التوحيد في الإسلام على أسس الاستعانة والاستغاثة بالله وَحْدَه، واللجوء والاحتماء به وَحْدَه، والتوكل والاعتماد عليه وَحْدَه، ورجاؤه ومحبته وخشيته وَحْدَه، ودعاؤه له وَحْدَه، فهو سبحانه له مقاليد السموات والأرض، أي جميع مفاتيح خزائن السموات والأرض له وَحْدَه؛ فاعبده وتوكل عليه وَحْدَه.

***

◘ الدعاء هو العبادة:

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الذاكرين: « الدُّعَاء هُوَ أَعلَىٰ أَنْوَاع الْعِبَادَة وأرفعها وَأَشْرَفهَا... ترك دُعَاء الرب سُبْحَانَهُ استكبار وَلَا اقبح من هَذَا الاستكبار، وَكَيف يستكبر العَبْد عَن دُعَاء من هُوَ خَالق لَهُ ورازقه وموجده من الْعَدَم وخالق الْعَالم كُله ورازقه ومحييه ومميتة ومثيبة ومعاقبة فَلَا شكّ أَن هَذَا الاستكبار طَرَفٌ من الْجُنُون وَشعْبَة من كفران النعم »(١).

وفي الحديث: { لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى الله تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ }(٢).

• **والدعاء سبب في تخفيف البلاء، وغفران الذنوب لمن سأل الله المغفرة، وهزيمة الكافرين وإنزال العذاب بهم، والنصر على الأعداء، والنجاة من الظالمين وكف أذاهم، وكشف الكروب، وجلب الرزق من مال وبنين وعلم وغيره، ورفع الوباء وجلب الشفاء من الأمراض.**

• والدعاء ما دام من العبادة، والمقصد منه التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، فلابد أن يكون خاضعًا لأحكام الشريعة وموافقًا لها.

---

(١) تحفة الذاكرين، فضل الدعاء، ص (٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، ب: ما جاء في فضل الدعاء، ح (٣٣٧٠)، وابن ماجة ح (٣٨٢٩)، والحاكم في مستدركه، ح (١٨٠١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٩٢).

واتِّباع السُّنَّة في الدعاء من أسباب قبوله، ومخالفة السُّنَّة مدعاة للوقوع في الخطأ والزَّلَل والحمق، وسبب من أسباب التفرق والجدال والخصومة.

قال ذو النُّونِ المِصْرِيُّ: « **ليكن آثَرَ الأشياء عندك وأحبَّها إليك: إحكامُ ما افترَضَ اللهُ عليك، واتقاءُ ما نَهاك عنه، فإن ما تَعبدُ اللهَ به خيرٌ لك مما تختارُه لنفسِكَ من أعمال البرِّ التي لا تَجبُ عليك، وأنتَ تَرَى أنها أبلَغُ لك فيما تُريدُ** ».

***

◘ الدعاء عند القبور:

جواز تخصيص مكان للدعاء يحتاج إلى دليل شرعي، بل أي مكان لم يأت في الشرع تخصيصه بفضيلة الدعاء فلا يجوز لنا أن نخصه بالدعاء، ولو استشعر أن الدعاء عنده أفضل من غيره، أو أن الدعاء عنده مستجاب أو أرجى للقبول من غيرها فهذا لا يجوز، بل هو بدعة ضلالة، ومن المنكرات المحرَّمة، لأن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نهى عن اتخاذه عيدًا، وعن الصلاة عنده بخلاف كثير من المواضع.

وقد رَأَى الْحَسَنُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ قَوْمًا عِنْدَ الْقَبْرِ فَنَهَاهُمْ وَقَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: { **لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَتَّخِذُوا**

بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلِيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي }(١).

وتقع الفتنة للداعي عند القبر إذا ظن أن للقبر تأثيرًا في إجابة دعوته وقضاء حاجته.

• وقال شيخ الإسلام تقي الدِّين: « فإن أكثر المصلين - في حال العافية- لا تكاد قلوبهم تفتن بذلك إلا قليلا، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدًّا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة متحقِّقة في حال هؤلاء، كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد. وهذا واضح لمن فقه في دين الله، وتبين له ما جاءت به الحنفيَّة من الدِّين الخالص لله، وعلم كمال سُنَّة إمام المتقين في تجريد التوحيد، ونفي الشِّرْك بكل طريق »(٢).

• وتحرِّي الدعاء عند القبور رجاء الإجابة يجرُّ مفاسد كثيرة، ويجعلها أماكن تُعَظَّمُ ويُطاف حولها، ويُلتَمَسُ المدد والعافية والرزق والنصر والشفاء والتوفيق من المقبورين فيها، ويجعلها أماكن لاجتماع الناس عندها واتخاذها عيدًا (كما في الموالد).

وهذا بعينه الذي نهى عنه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بقوله: { **لَا تَتَّخِذُوا**

---

(١) مصنف عبد الرزاق: ك: الجنائز، ب: السلام على قبر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ (٦٧٢٦).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٦ـ١٩٧).

قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي }(١).

● وهؤلاء الفُضلاء من الصالحين من الصحابة والتابعين والأئمة في الدِّين إنما يُعبَّر عن حبِّهم بالاتِّباع وإحياء ما أحيَوْه من الدِّين، والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والرضوان، ونحو ذلك، أما اتخاذ قبورهم أعيادًا، فهو مما حَرَّمَه الله ورسوله، وقصدها للدعاء والعبادة يجر مفاسد كثيرة، وهو فتنة للخلق، وفتح لباب الشِّرْك، فسَدُّ الذرائع مقدَّم هنا لمنع هذه المفاسد وغيرها.

ولو كان تحري الدعاء عند القبور مشروعًا لورد ذلك عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثبت عنه، ولأرشده الوحي إلىٰ قبور الرسل من قبله ليتحرىٰ الدعاء عندها، ولَتناقَلَهُ أصحابُه من بعده، فلا يعقل أن تصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة (قرن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه من بعده، والتابعين من بعدهم) ثم يفعله الخلوف من بعدهم بدون نقل صحيح من الكتاب والسُّنَّة.

فقصد الدعاء عند القبور ضلالة ومَعصِيَة، ومن استحسنه فقد شرع من الدِّين ما لم يأذن به الله.

---

(١) أخرجه أحمد ح (٨٨٠٤)، وقال المحقق: إسناده حسن، وصححه الألباني في أحكام الجنائز رقم (١٠).

• ولم يذكر في كتب العلماء الأوائل أن الدعاء عند القبور مستجاب أو أنه مستحَبٌّ، ولو كان الدعاء عند القبور أرجىٰ من الدعاء عند غيرها لذكره العلماء الأوائل في كتبهم ومصنفاتهم.

كما أن الأمكنة التي كان النبيُّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقصد الصلاة أو الدعاء عندها سُنَّة اقتداءً برسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ واتِّباعا له، فلا تجعل فيها مكانًا لقبر رسول أو نبي.

وتحرِّي الدعاء عند القبور فيه تقليد لأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ وتشبُّهٌ بهم، فهو بدعة ضلالة.

***

▫ أما الزيارة الشرعيَّة للقبور فمقصودها:

١ـ تذكُّر الآخرة والاتِّعاظ والاعتبار.

٢ـ الإحسان للميت بالدعاء لأهل القبور بالرحمة والمغفرة، وسؤال العافيَّة، ولم يُشَرع أن يدعوهم، أو يدعو بهم، أو يصلي عندهم.

٣ـ اعتبار الزائر بالآخرة فيحسن إلىٰ نفسه باتِّباع السُّنَّة، والتوبة، والوقوف عند ما شرعه الله ورسوله.

• ودعاء الميت من دون الله من الشِّرْك الأكبر، فقول الداعي عند القبر أو بعيدًا عنه: يا رافعي ارحمني أو اشفني أو عافني أو ارزقني، أو

سأل أصحاب القبور النصر والولد والبركة وقضاء الديون، وتفريج الكروب، كل ذلك شرك محبط للعمل، لا فرق في الحكم بين من فعل ذلك عند القبر أو عند وثن أو صنم أو حائط أو صليب أو نار أو شمس أو شجرة أو قبر نبي أو ولي؛ لأنه استعان واستغاث بغير الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يونس].

فحرامٌ على يد امتدت إليه سبحانه أن تمتدَّ إلى غيره، وحرامٌ على قلب أَنِس بذكره واطمأنَّ به أن يأنَس بغيره، وحرامٌ على جبهة سجدت له سبحانه أن تنحني وتسجد لغيره، وحرامٌ على قدم سعت في مرضاته أن تسعى فيما يسخطه ويغضبه، وحرام على لسان وَحَّدَه أن يلهَج بغير ذكره، وحرامٌ على جوارح سلكت في مَحَابِّه أن تنغمِس في مَساخِطه.

• ومن جعل بينه وبين الله واسطة في العبادة كالدعاء فقد عبد هذه الواسطة من دون الله. قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[الزمر: ٣]، فلم يمنع توسطهم بالأولياء إليه تعالى أن يقول إنهم اتخذونه من دونه.

فسؤال الميت والغائب نبيًّا كان أو غيره من المحرمات المنكرة باتفاق المسلمين.

وطلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم هو أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلًا عمن استغاث به، وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له أو يتوسط له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده.

• والدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقًا ميتًا وتترك الحي القيوم والرؤوف الرحيم القدير؟!.

ومن المنكرات سؤال الله والإقسام عليه بذات الميت وليس لذلك أصل في دين الإسلام، كأن يقول: أقسمتُ عليك يا ربِّ بالولي الفلاني، أو أن تَقضي حاجتي أو تَشفي مريضي أو تَرزقني أو ببركة فلان، وهذا هو التوسُّل المذموم؛ إنما القسم على الله لا يكون إلا بالله تعالى وأسمائه وصفاته، أو بالأعمال الخالصة الصحيحة، وهذا هو التوسُّل المشروع.

• والأنبياء وسائط بيننا وبين الله تعالى في تبليغ الرسالة، وبيان الحلال والحرام، وبيان النعيم والجحيم، وكذلك العلماء ورثة الأنبياء في تعليم الناس الدِّين وتبليغ ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذا كان المراد أنهم واسطة في جَلْبِ النفع أو دفع الضرِّ فهذا شرك أكبر لا يجوز.

فمن جعل الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء وسائط يتوكل عليهم، ويسألهم جَلْبَ المنافع ودفع المضارِّ وغفران الذنوب وهدايَة القلوب وتفريج الكروب وسَدَّ الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَإِنْ أَثْبَتَهُمْ وَسَائِطَ بَيْنَ الله وَبَيْنَ خَلْقِهِ - كَالْحُجَّابِ الَّذِينَ بَيْنَ الْمَلِكِ وَرَعِيَّتِهِ - بِحَيْثُ يَكُونُونَ هُمْ يَرْفَعُونَ إِلَى الله حَوَائِجَ خَلْقِهِ؛ فَاللهُ إِنَّمَا يَهْدِي عِبَادَهُ وَيَرْزُقُهُمْ بِتَوَسُّطِهِمْ؛ فَالْخَلْقُ يَسْأَلُونَهُمْ وَهُمْ يَسْأَلُونَ اللهَّ؛ كَمَا أَنَّ الْوَسَائِطَ عِنْدَ الْمُلُوكِ: يَسْأَلُونَ الْمُلُوكَ الْحَوَائِجَ لِلنَّاسِ؛ لِقُرْبِهِمْ مِنْهُمْ وَالنَّاسُ يَسْأَلُونَهُمْ؛ أَدَبًا مِنْهُمْ أَنْ يُبَاشِرُوا سُؤَالَ الْمَلِكِ؛ أَوْ لِأَنَّ طَلَبَهُمْ مِنْ الْوَسَائِطِ أَنْفَعُ لَهُمْ مِنْ طَلَبِهِمْ مِنْ الْمَلِكِ؛ لِكَوْنِهِمْ أَقْرَبَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ الطَّالِبِ لِلْحَوَائِجِ. فَمَنْ أَثْبَتَهُمْ وَسَائِطَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابَ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ. وَهَؤُلَاءِ مُشَبِّهُونَ للهَِّ شَبَّهُوا الْمَخْلُوقَ بِالْخَالِقِ وَجَعَلُوا للهَِّ أَنْدَادًا »(١).

• ومن ذلك الضلال أيضًا قول الداعي: «اللهم إني أسألك بفلان الوليِّ أن تقضي لي حاجتي، أو يقول: أنا ضيفُك، أنا جارُك، أنا نزيلُك»، أو يكتب ورقة ويضعها عند المقبور، كل ذلك من البدع

(١) مجموع الفتاوى (١/ ١٢٦) بتصرف.

والضلال، ومن فعل النصارىٰ في كنائسهم، والمبتدعين عند قبور الأنبياء والصالحين.

• والتوسل بالعبد الصالح من غير متابعة له في الأعمال الصالحة لا يجوز أن يكون وسيلة، فهذا التزلُّف بذوات الأشخاص ردَّه الله سبحانه وتعالىٰ ولم يقبله، وقد عاب عليهم عبادة الأولياء من دونه، وعاب عليهم محاولتهم التقرب والتزلف إليه تعالىٰ بالأشخاص والمخلوقين، فكلا الأمرين عَيْبٌ وذنب، وكلاهما باطلٌ وكذب وضلال، قال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[الزمر].

• **ومن الصور المنكرة، والبدعة الضلالة** قول الداعي: (أسألك يارب بجاه المصطفىٰ، أو بحق نبيك، أو بحق المقبور فلان، أو بحرمة الحسين، أو بمكانة السيدة نفيسة... اقضِ حاجتي، وارفع شِدَّتي)، وما أشبه ذلك.

لأن العبادات مبناها علىٰ الاسْتِنانِ والاتِّباع، لا علىٰ الهوىٰ والابتداع، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[الشورى].

◘ شبهة والرد عليها:

قد يقول قائل: لقد جرَّبْتُ الدعاءَ عند قبور الأنبياء والصالحين فوجدته مستجابًا.

وللردِّ على هؤلاء نقول، وبالله التوفيق:

أولًا: التجربة ليست مصدرًا من مصادر التشريع حتى نعتمدَ عليها، فالمسلم الصادق ليس له إلا الأُسوة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل شيء من الأشياء، وما لم يُؤثَر عنه فليس لنا سبيل إليه، أما التجربة في غير مسائل الدِّين فلا بأس بها، بل قد تكون مطلوبة.

ثانيًا: العبادات لا تَثبُت بمثل هذه الحكايات والمقاييس من هؤلاء المبطلين، وحجتهم في ذلك نَقْلٌ لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله.

ثالثًا: إنَّ كثيرًا من المشركين كانوا يدعون الله عند أوثانهم، فيستجاب لهم أحيانًا.. وقد يكون سبب قضاء حاجة هؤلاء: أن الرجل منهم يكون مضطرًّا ضرورة لو دعا اللهَ بها مشركٌ عند وثن لاستُجيبَ له وإن كان تحرِّي الدعاء عند الوثن شِركًا.

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ**

﴿لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس].

• وكم داعٍ بدعاء هو فيه متعدٍّ، إما بطلب ما لا يصِح أو بدعاء فيه مَعصِيَة، فإذا حصل له بعض غرضه ظنَّ أن ذلك دليل على أن عمله صالح، فهو مِثل من خالف أمر الله تعالى وأمدَّه الله بالمال والأولاد فظنَّ أن ذلك مسارعةٌ له في الخيرات، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[آل عمران].

رابعًا: الاجتماع عند هذه الأماكن فيه مفاسِدُ، من الشِّرك والاختلاط بين الرجال والنساء وغيرها مما يستوجِب سخَطَ الله تعالى.

خامسًا: من أين عَلِمَ الداعي أن استجابة الدعاء عند القبر كانت بتأثير المكان؟

ولِمَ لا يكون سبب إجابة دعائه عند القبر أن الداعي قد يكون مُضطرًّا واجتهد في دعائه في هذا المكان اجتهادًا لو اجتهده في مكان آخر لأُجيب، وقد تكون حاجته قضيت بقدر الله قبل دعائه.

سادسًا: استجابة الدعاء في هذا المكان ليست دليلًا على مشروعيَّة الدعاء عند ذلك المكان، فإن الوسائل لها حكم المقاصد، فالوسيلة التي اتخذها ليست وسيلة شرعيَّة، وإنما هي وسيلة بِدعيَّة.

وهل يعقل إن قال لنا قائل: إن الدعاء عند الصليب أو الصَّنَم بوذا مُستجاب ومُجرَّب، فهل يجوز لنا أن نفعل ما يقول ؟!

فلا يمكن القول بأن بلوغ الإنسان مقصده بسبب هذه الوسيلة الخاطئة دليل على صحَّة فعله.

سابعًا: قد تُقضَىٰ حاجته ابتلاءًا واختبارًا واستدراجًا من الله تعالىٰ، ومكرًا به، كما يأتي الكاهن أو العرَّاف فيخبره بأمور وقد تُقضَىٰ بعض حاجتهم بذلك، لكن هذا لا يدل علىٰ مشروعيَّة هذا العمل، بل هو حرام من الكبائر لثبوت النهي في السُّنَّة علىٰ ذلك.

ثامنًا: ليس كل سبب نال به الإنسانُ حاجتَه يصير مشروعًا أو مباحًا، وإن حصل به بعض الفائدة، وقد يستدِلُّ بعضُ هؤلاء بنقل مكذوب عن بعض الأئمة والعلماء، أو بسند لا يصِحُّ إليهم، أو لا يُعْرَف له إسنادٌ أصلًا.

تاسعًا: غالبًا مَن يصدر عنهم هذه الأقوال قد تعذُرُه الشريعة بأن يكون مسلوبَ العقل أو العلم، أو ساقطَ التمييز، أو مجتهدًا مخطئًا، أو مغلوبًا علىٰ ذلك.

عاشرًا: أنه لم ينقل في استحباب الدعاء عند القبور شيءٌ ثابت من الكتاب والسُّنَّة، ولا نقلٌ صحيح ثابت عن القرون الثلاثة التي

أثنى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها في قوله: { خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ }(١).

بل إن كثيرًا من علماء الأُمَّة أنكروا ذلك وكرهوه قديمًا وحديثًا.

حادي عشر: البلاءُ يندفِع بطاعةِ الله ورسوله، والإخلاصِ لله عَزَّوَجَلَّ في الدعاء، وألا يدعو مع الله أحدًا، ولا علاقة للمقبور بدفع الضرِّ.

مَن أطاع الله ورسوله فهو السعيدُ في الدنيا والآخرة والسالمُ من الخرافات والخزعبلات، ومَن عصاهما فقد استحق ما يستحِقُّه أمثالُه.

والثوابُ والعِقابُ مرتَّب على العمل الصالح الموافق للكتاب والسُّنَّة، ولا دخل للمقبور فيها، وفي الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن ولَّاه: { لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ لاَ أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لاَ أَمْلِكُ

---

(١) أخرجه البخاري: ك: المناقب، ب: فضائل أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح (٣٦٥١)، ومسلم: ك: فضائل الصحابة، ب: فضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثم الذين يلونهم، ح (٢٥٣٣).

لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ }(١).

فمن أطاع الله ورسوله فقد رشد، ومن عصىٰ الله ورسوله فقد غوىٰ وضلَّ ضلالًا مبينًا.

ثاني عشر: أن الدعاء عند القبور لاعتقاد النفع والضرِّ من المقبور مِن صَنيع مَن سبق من الأمم السابقة، ولسنا ملزمين بشرع مَن قبلَنا ما لم يوافِقْهُ شرعُنا، بل أمرنا النبيُّ ﷺ بمخالفتهم وعدم التَّشَبُّه بهم ، قال الله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة].

***

◘ شبهة تقبيل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للحجر الأسود:

ثبت في «الصحيحين» أن عمرَ بنَ الخطَّابِ قبَّل الحجَر الأسود وقال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجهاد والسير، ب:: الغلول ح(٣٠٧٣).وأخرجه مسلم في صحيحه : ك: الإمارة، ب: تحريم الغلول ح(١٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: ما ذكر في الحجر الأسود، ح (١٥٩٧)، ومسلم: ك: الحج، ب: استجاب تقبيل الحجر الأسود، ح (١٢٧٠).

وفِعْلُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ درسٌ عمليٌّ للأمَّة يتمثَّل فيما يلي:

أولا: ترسيخُ مفاهيم العقيدة الصحيحة، وأن النفع والضرَّ بيد الله وَحْدَه.

ثانيًا: التسليمُ المطلَقُ بالاتِّباع للشرع الحنيف، فمن جاء به لا يَنطِق عن الهوَىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثالثًا: أن هذا الحجَرَ من حِجارة الجَنَّة، وقد ورد ذلك في أحاديث صحيحة.

رابعًا: فيه إشارةٌ إلىٰ حُسْنِ الاتِّباع فيما لم يُكشَفْ عن معانيه، ولو لم يَعلَم الحكمة فيه.

خامسًا: فيه دليل علىٰ حرمة وكراهية تعظيم الأحجار الأخرىٰ والشجر والحديد والنحاس وغيره، كما كانت تفعله الجاهليَّة في الأوثان، لأن النفع والضرَّ بيد الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه تعالىٰ هو النافع والضارُّ، وأن الأحجار لا تنفع من حيث هي كما كانت الجاهليَّة تعتقد في الأصنام.

سادسًا: الحجَر الأسود والرُّكنُ اليمانيُّ علىٰ قواعد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليس للركنين الآخرين شيء منهما.

سابعًا: قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{لتأخذوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ}**(١)،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الحج ـ ب: استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبًا، وبيان قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لِتأخذوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ }، ح (١٢٩٧).

لذا نترك ما ترك، ونفعل ما فعل،ونُقِرُّ ما أَقَرَّ، ولا حُجَّة لأحد مع فعل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقوله؛ لذا قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أجمع المسلمون على أن من استبانَتْ له سُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن له أن يدَعَها لقولٍ أحدٍ من الناس» (١).

ثامنًا: لذلك لا يُشرَع تقبيلُ مَقام إبراهيمَ أو استلامُه، لأن المأمور به الصلاةُ عند مقام إبراهيم، ولا نُؤمَر بمَسحه أو تقبيله، فالمشروع الصلاة عنده واتخاذه قبلة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَلَيْسَ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ مَوْضِعٌ يُشْرَعُ تَقْبِيلُهُ وَاسْتِلَامُهُ، وَتُحَطُّ الْخَطَايَا وَالْأَوْزَارُ فِيهِ غَيْرَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ » (٢).

***

◘ التمسح بالقبور وتقبيلها:

شرع لم يأذن به الله تعالى وعبادة لم يشرعها الله عَزَّ وَجَلَّ، حيث إن تقبيل هذه الأماكن على وجه التبرك عبادة، والعبادة مبناها على الاتّباع لا الابتداع، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ،

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (١/ ٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١/ ٤٩).

فَهُوَ رَدٌّ }[١]، وفي لفظ: { من عَمِلَ عملًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ }[٢].

بل هو من باب: **مَن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة فعليه وِزرُها ووِزْرُ مَنْ عَمِلَ بها إلى يومِ القِيامَةِ.**

لذلك ينبغي أن تكون أعمال المكلَّفين كلها موافقة لأحكام الشريعة، خالصة لله تعالى لتكون مقبولة، وما كان خارجًا عن ذلك فهو مردود غير مقبول.

وتعظيم القبور والتمسُّح بها داخلٌ في اتخاذِها عيدًا، وفي ذلك نهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: { **لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي** }[٣].

• والنهي عن ذلك لأنه قد يفضي إلى الجهل وتقليد ما كان عليه الأمم السابقة من عبادة الأوثان، فكان في المنع من ذلك قطع للذريعة المفضية إلى الفساد، وذلك هو المناسب لأن دفع المفاسد باعتبار نفسها أو ما يُفضي إليها هو المقرَّر شرعًا، سدًّا للذرائع المؤدِّية للشرك.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلح، ب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢٦٩٧)، ومسلم: ك: الأقضية، ب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح (١٧١٨).

(٢) سبق تخريجه، ص (٧).

(٣) سبق تخريجه، ص (٩٩).

والشرع لم يَرد بإباحة تقبيل القبور أو التبرُّك بها أو عندها، لا في آية ولا حديث، ولا أثر مرفوع أو موقوف، وهذا يدل على أن القول باستحباب تقبيل القبور واستلامِها مخترَع مبتدَع ضالٌّ، ولم يرد أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبَّل قبر نبيٍّ من الأنبياء قبله أو تمسَّح به.

• قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقلًا عن الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقٍ الزَّعْفَرَانِيِّ فِي كِتَابِهِ فِي الْجَنَائِزِ: « وَلَا يَسْتَلِمُ الْقَبْرَ بِيَدِهِ وَلَا يُقَبِّلُهُ، وَعَلَىٰ هَذَا مَضَتْ السُّنَّة... وَاسْتِلَامُ الْقُبُورِ وَتَقْبِيلُهَا الَّذِي يَفْعَلُهُ الْعَوَامُّ الْآنَ مِنْ الْمُبْتَدَعَاتِ الْمُنْكَرَةِ شَرْعًا يَنْبَغِي تَجَنُّبُ فِعْلِهِ وَيُنْهَىٰ فَاعِلُهُ... فَإِنَّ ذَلِكَ عَادَةُ النَّصَارَىٰ »[1].

• وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني: « وإذا زار قبرًا لا يضع يده عليه ولا يقبِّله فإنها عادة اليهود »[2].

• وقال الغزالي: « وليس من السُّنَّة أن يَمَسَّ الجدار، ولا أن يقبِّله، بل الوقوف من بُعد أقرب للاحترام »[3].

وقال: «فإن المسَّ والتقبيل للمَشاهد عادةُ اليهود والنصارىٰ»[4].

(١) المجموع شرح المهذب، للنووي (٥/ ٣١١).
(٢) الغُنْية (١/ ١٩٨).
(٣) إحياء علوم الدِّين، للغزالي (١/ ٢٥٩).
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٧١).

• وقال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة]:

« تضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين في العبادة وأنه لا يجوز إشراك غيره معه لا في الأفعال ولا في الألفاظ ولا في الإرادات، فالشِّرْك به في الأفعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى، والطواف بغير بيته الحرام، وحلق الرأس عبوديَّة وخضوعًا لغيره، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها، وقد لعن النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَن اتخذ قبور الأنبياء والصالحين؛ فكيف من اتخذ القبور أوثانًا تُعبَد من دون الله؟ »[1].

• وقال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وأما طوافُ الزائر بقبر الميت وتقبيلُه الأركانَ وسؤالُ الحاجات منه وعنده فهي عبادة المشركين للأصنام»[2].

• وقال الشيخ حسن مأمون مفتي مصر الأسبق في سؤال وُجِّهَ إليه: **ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة، والطواف بالمقصورة والتوسل بالأولياء؟**

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « أود أن أذكر أولًا أن أصل الدعوة الإسلاميَّة

---

(١) تجريد التوحيد، للمقريزي، ص (١٩).

(٢) الإنصاف في حقيقة الأولياء، وما لهم من الكرامات والألطاف، ص (٩٩).

يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهدًا كل ما يقرِّب الإنسان من مزالق الشِّرْك بالله، ولا شكَّ أن التوسل بالأضرحة والموتى أحد هذه المزالق، وهي رواسب جاهليَّة، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما أنكر عليهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبادتهم للأصنام قالوا: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ**﴾ [الزمر:٣]، وهي نفس الحُجَّة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء، ومن مظاهر هذه الزيارات أفعال تتنافى كليَّة مع عبادات إسلاميَّة ثابتة: فالطواف في الإسلام لم يشرع إلا حول الكعبة، وكل طواف حول أي مكان آخر حرام، والتقبيل في الإسلام لم يُسَنَّ إلا للحجَر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله: « **والله لولا أني رأيت رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يقبلك ما فعلت** » فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح أو أي مكان به حرام قطعًا» (١).

• وليس التمسُّح بالقبور وتقبيلها من تعظيم شعائر الإسلام كما في قوله تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج]، وهذه الآية وردت في شعائر الحج ومناسكه، قال ابن عباس

---

(١) من مجلة الإذاعة المصريَّة (١١/ ٢/ ١٣٧٧هـ)، ونقلها محمد الرفاعي في كتابه «التوصل إلى حقيقة التوسل»، ص (٣٤٣).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «البُدْن من شعائر الله»، وقال محمد بن أبي موسى: «الوقوف بعرفة ومزدلفة والجمار والرمي والحَلق والبُدْن من شعائر الله».

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: « هَذَا ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أَيْ: أَوَامِرَهُ، ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُ الْهَدَايَا وَالْبُدْنِ »(١).

• وقول الرافضة الذين أثاروا هذه الشبهة تراهم هم الذين عطَّلوا شعائر الله من: اختصار الصلاة إلى ثلاثة، ومنعوا الأذان وعطَّلوا الجمعة وصلاة الجماعة والعيد والجهاد في سبيل الله وقيام رمضان والحج والعمرة، غير بدعهم المشهورة يوم مقتل الحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إلى غير ذلك مما بدَّلوه في دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

• ويزعمون كذبًا أن المسجد الحرام به قبر إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا لم يَرِد في كتاب أو سُنَّة أو حتى على لسان أحد من سَلَف الأُمَّة، فهو ادِّعاء باطل وضلال.

ولقد حذَّرَنا النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الغُلُوِّ ففي الحديث: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّين، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٥/ ٤٢١).

الدِّين }[١].

وأصل التعظيم لشعائر الله موافقةُ ما يحبه الله تعالىٰ ويرضاه من السجود له وَحْدَه، والطوافِ حول الكعبة له وَحْدَه، وكذلك موافقة ما يحبه رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكراهة ما يكرهه، هذا هو التعظيم الذي يُحبه الله ويرضاه، ويُثني علىٰ فاعله.

أما التعظيم الذي يكرهُه ويُبغِضه ويَذُمُّ فاعلَه، فهو الغُلُّو: كالانحناء عند القبور، وتقبيل الأرض والجدران، والتماس البركة هناك، فهذا منهيٌّ عنه، وتكون البركة فيما يوافق الشرع الحنيف.

لذلك نهىٰ النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه عن السجود له، ومنعهم من ذلك؛ لأن السجود لا يكون إلا لله عَزَّوَجَلَّ، فلا يسجد للنبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته ولا له بعد موته عند قبره، لأن السجود عبادة لا تنبغي إلا لله تعالىٰ، ولا تُصرَف إلا له، فمن صرفها لغير الله فهو ضالٌّ مشرك.

ولقد نهىٰ النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الغلو فيه، ومن ذلك قوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لاَ تُطْرُونِي ـ يعني: لا تزيدوا في مدحي ـ كَمَا أَطْرَتْ**

---

(١) أخرجه النسائي: ك: مناسك الحج، ب: الْتقاط الحصى، ح (٣٠٥٧)، وابن ماجه: ك: المناسك، ب: قدر حصى الرمي، ح (٣٠٢٩)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع»، ح (٢٦٨٠).

النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ }(١).

والإطراء: هو المبالغة في المدح، والنهي عن إطرائه لا يَعني التقليل من قدره ومكانته، لأن للتوقير وللتعظيم وسائلَه المشروعة من: الصلاة والسلام عليه، والتمسُّكِ بسنَّته وإحيائها عند فساد الناس وهَجْرِهم لها.

• والغُلُوُّ في الصالحين هو الطامة الكبرىٰ والبَلِيَّة العُظمىٰ التي جنحت بالبشريَّة عن جادَّة الحق والصواب إلىٰ ظلمات الشِّرْك والضلال باتخاذهم أندادًا لله من خلقه، واعتقاد أنها تملك شيئًا من خصائص الألوهيَّة.

فإن لمسَ القبر أو وضع اليد عليه ذريعة إلىٰ تعظيمه، والتمسُّحَ به ذريعة إلىٰ الشِّرْك؛ فحُرِّم ذلك سدًّا للذريعة.

• فالتعظيم إنما هو تعظيم أمر رسوله ونهيه، والاهتداءُ بهَدْيِه، واتِّباع سنَّته، والدعوة إلىٰ دينه الذي دعا إليه، ونصرته وموالاة مَن عمل به، ومعاداة من خالفه.

والذين يعظِّمون القبور من أقل الناس تعظيمًا لرسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهم يُعَظِّمون ما لا يُعظِّمه رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه كره تعظيم

---

(١) أخرجه البخاري: ك: أحاديث الأنبياء، ب: قول الله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ ح (٣٤٤٥).

القبور والبناء عليها، والصلاة عندها، والتبرُّك بها، وهم قد شرعوا عندها عباداتٍ لا تُصرَف إلا لله تعالىٰ كدعاء أهلها، والاستعانة بهم، والاستغاثة بهم، والنَّذْر لهم، والذَّبْح لأهلها، والطواف حولها كما يطاف حول بيت الله الحرام.

فأي الفريقين أولىٰ بتعظيم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الذين اتَّبعوه قولًا وعملًا أم مَن خالفوا أمره وخرجوا عن شريعته وتنكَّبوا سُنَّتَه؟!

• وهل شدَّة الشَّوْق والمَحَبَّة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحمل علىٰ مخالفة الشرع المطهَّر، أم أنها تحمل علىٰ اتِّباع السُّنَّة، والتقيُّد بما جاء فيها، وتقديمها علىٰ كل محبوب للنفس؟

***

والتبرُّك في اللغة: التيمُّن، وهو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها.

وفي الشرع: هو طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر.

والبركة كلها من الله تعالىٰ وَحْدَه من: [الرزق، والنصر، والعافية، والأولاد، والتوفيق، والشفاعة]، فهو مالكها وواهبها، وهو سبحانه الجالِب للرزق والنصر والعافية، الدافع للشرِّ والبلاء.

لذلك فطلب البركة من شيء لابد فيه من إذن للشارع عَزَّوَجَلَّ، وبيان الدليل الشرعي عليه، لأنه دين، **والدِّين مبني على النقل لا**

التجربة والعقل.

إن ما يُتبرَّك به من الأقوال والأفعال التي جاء بها الشرع إنما هو سبب للبركة، كما أن ما يُتداوىٰ به من الأدوية والرقَىٰ الشرعيَّة سبب للشفاء، والبركة والشفاء من الله عَزَّوَجَلَّ.

• التبرُّك لا ينفع إلا الإنسانَ المؤمن الصالح، فلم ينفع عبدَ الله بن أُبي بن سلول رأس المنافقين- بركةُ قميصِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لَمَّا كفَّنه به وصلىٰ عليه، وأنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨٤ ﴾ [التوبة] (١).

وللتبرُّك بآثار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لابد لنا من معرفة:

١ـ صحة نسبة الآثار المنسوبة إليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

٢ـ أن التبرُّك مقصور علىٰ آثار رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقط ولا يتعدَّاه إلىٰ سواه، حيث إن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ بعد موته صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك، لا مع الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ولا الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، ولا مَن جاء بعدهما رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: اللباس، ب: لبس القميص، (٥٧٩٦)، ومسلم: ك: فضائل الصحابة، ب: من فضائل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ برقم: (٢٤٠٠).

وفتح باب التبرُّك لغير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسبب فِتَنًا كثيرة، فكان سَدُّه أولى.

٣- ورد في الأحاديث التبرُّك بِعَرَقِهِ وشَعره ورِيقه وفضلِ وَضوئه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يرد في الأحاديث التبرُّك بقبره.

• عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ { **أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ** }(١).

وَرَأَى ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فُسْطَاطًا عَلَى قَبْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: « انْزِعْهُ يَا غُلَامُ، فَإِنَّمَا يُظِلُّهُ عَمَلُهُ »(٢).

• عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **سُبْحَانَ اللهِ هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ**

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الجنائز، ب: الأمر بتسوية القبر، ح (٩٦٩).
(٢) أخرجه البخاري معلقًا وجزم به. ك: الجنائز، ب: الجريد على القبر.

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ }(١).

وعن نافع قال: «كان الناس يأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها، قال: فبلغ ذلك عمرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت»(٢).

• قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ حول الحكمة من إخفاء تلك الشجرة: « وَهُوَ أَنْ لَا يَحْصُلَ بِهَا افْتِتَانٌ لِمَا وَقَعَ تَحْتَهَا مِنَ الْخَيْرِ فَلَوْ بَقِيَتْ لَمَا أُمِنَ تَعْظِيمُ بَعْضِ الْجُهَّالِ لَهَا حَتَّى رُبَّمَا أَفْضَى بِهِمْ إِلَى اعْتِقَادِ أَنَّ لَهَا قُوَّةَ نَفْعٍ أَوْ ضَرٍّ كَمَا نَرَاهُ الْآنَ مُشَاهَدًا فِيمَا هُوَ دُونَهَا »(٣).

• وقد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم أولهم وآخرهم من لدن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى هذا الوقت أن رفع القبور والبناء عليها من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين، إلا غلاةَ الصوفية المُغالين، والشيعة العادلين عن الحق إلى الضلال.

---

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الفتن، ب: ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ح (٢١٨٠)، وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في الكبرى، ح (١١١٢١)، وأحمد، ح (٢١٨٩٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٥٤٥)، وصحَّح سنده الحافظ في الفتح (٧/ ٤٤٨).

(٣) فتح الباري (٦/ ١١٨).

وقد نصَّ العلماء رحمهم الله في كتبهم على وجوب إزالة ما يكون سببًا أو وسيلةً للشِّرْك، فقد هدَم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الضِّرار الذي كان يُتَّخَذُ قاعدة لأهل النفاق في تآمرهم على المسلمين.

• **قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: **« فمن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين: من شجرة، أو عمود، أو وثن، أو قبر، أو خشبة، أو غير ذلك. والواجب هدمُ ذلك كله، ومحو أثره »**(١).

و يجب على وليِّ الأمر أو نائبه أن يَهدِم هذه المَشاهد التي بُنِيت على القبور التي اتُّخِذَت أوثانًا.

وقال الإمام الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ: « إن مشايخ المذاهب الأربعة جزموا بوجوب هدم القِباب »(٢).

◘ النَّذْر والذَّبْح عند القبور:

« والنَّذْر أن توجِب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر »(٣)، أو « هو التزام قربة لم تتعيَّن »(٤).

---

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/ ٢٠٩).
(٢) غايةالأماني في الردّ على النبهاني، للألوسي (٢/ ٤٤٣)، نقلًا عن الشيخ عبد اللطيف: في كتابه (منهاج التأسيس في الرد على ابن جرجيس).
(٣) المفردات، للراغب الأصفهاني (٧٩٧).
(٤) إرشاد الساري، للقسطلاني (١٤/ ١٠١).

والنَّذْر لا يكون إلا نذر طاعة، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ** }(١).

• **قال الحافظ ابن حجَر: «والخبر صريح في الأمر بوفاء النَّذْر إذا كان في طاعة، وفي النهي عن ترك الوفاء به إذا كان في معصية»(٢).**

فمن نذَر صلاة أو صومًا أو صدقة فعليه أن يُوفي، وإن نذر ما ليس بطاعة مثل: النَّذْر لبعض المقابر والمشاهد وغيرها شمعًا أو نفقة أو كسوة أو غير ذلك، فهذا نذر مَعصِيَة لا يجوز الوفاء به مطلقًا، وكذلك من نذَر فعل المعصية: كشُرب الخمر، والزِّنا وسائر المحرَّمات، كل ذلك نذْرٌ محرَّم لا يجب الوفاء به.

قال تعالى: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴿٧﴾ ﴾[الإنسان].

والآية دليل على وجوب الوفاء بالنَّذْر في الطاعات.

وقد بوَّب البخاريُّ: باب إثم مَن لا يَفي بالنَّذْر.

وقد عدَّ ابن حجَر الهيثمي عدمَ الوفاء بالنَّذْر في الطاعات من الكبائر، وقد ورد الذمُّ في نذْرِ البخيل لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ** }(٣)، وهو نَذْرُ المجازاة أو

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأيمان والنذور، ب: النَّذْر في الطاعة، ح (٦٦٩٦).

(٢) فتح الباري (١١/ ٥٨٢).

(٣) أخرجه مسلم: ك: النَّذْر، ب: النهي عن النَّذْر وأنه لا يرد شيئًا، ح (١٦٣٩).

المعاوَضة، مثل أن يقول: إن شفى اللهُ مريضي فعليَّ صدقة كذا وكذا، وهو نَهيٌ عن الكراهة، كما ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

• وسَأَلَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ عَبْدَ الله بْنَ عمرَ، إِنَّ ابْنِي كَانَ بِأَرْضِ فَارِسَ فِيمَنْ كَانَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ الله وَإِنَّهُ وَقَعَ بِالْبَصْرَةِ طَاعُونٌ شَدِيدٌ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ نَذَرْتُ إِنِ اللهُ جَاءَ بِابْنِي أَنْ أَمْشِيَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَجَاءَ مَرِيضًا فَمَاتَ، فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَوَلَمْ تُنْهَوْا عَنِ النَّذْر، إِنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: { **النَّذْر لَا يُقَدِّمُ شَيْئًا وَلَا يُؤَخِّرُهُ فَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ** }(١).

• والنَّذْر عبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالىٰ كأن يصرفها لمقبور أو جنٍّ أو ساحر، أو لغير ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ** ﴾[البقرة: ٢٧٠].

قال صديق حسن خان بعد ذكر الآية: «وإذا علمت ذلك فهذه النذور الواقعة من عباد القبور، تقربًا إليهم ليقضوا لهم حوائجهم،

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٨٣٧) بهذا اللفظ، وقال صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه مسلم بدون التفصيل، ك: النَّذْر، ب: النهي عن النَّذْر وأنه لا يرد شيئًا، ح (١٦٣٩).

أو ليشفعوا لهم، شرك في العبادة بلا ريب »(١).

وفي الحديث السابق: { **مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَّ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلاَ يَعْصِهِ** } دليل علىٰ أن هناك نذر مَعصِيَة لا يجوز الوفاء به، فالنَّذْر يجب أن يبتغي به وجه الله، فالله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا من كل الشوائب والنظائر، ولا يرىٰ فيه إلا الله وَحْدَه، وابتغىٰ به وجهه والأجر منه سبحانه.

• ولا يجوز النَّذْر فيما فيه تعذيب للنفس أو عائد عليها بالضرر، كما نَذَرَ أَبُو إِسْرَائِيلَ، أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ، وَلاَ يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: { **مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ** }(٢).

فأبطل النبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ النَّذْر الذي كان فيه إتلاف للنفس وتعذيب لها، وكيف أبقىٰ علىٰ النَّذْر الصحيح كالصوم ونحوه.

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رَأَىٰ شَيْخًا يُهَادَىٰ بَيْنَ ابْنَيْهِ، فَقَالَ: { **مَا بَالُ هَذَا؟** } قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَالَ: { **إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ** }، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ (٣).

---

(١) الدِّين الخالص (٢/ ٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الأيمان والنذور، ب: النَّذْر فيما لا يملك وفي مَعصِيَة (٦٧٠٤).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الحج، ب: من نذر المشي إلى الكعبة، ح (١٨٦٥)، ومسلم: ك: النَّذْر، ب: من نذر أن يمشي إلى الكعبة، ح (١٦٤٢)، واللفظ له.

• **قال العِزُّ بنُ عبد السلام: «لا يصح التقرب بالمشاقِّ، لأن القُرَب كلها تعظيم للرب سبحانه وتعالى، وليس عَين المشاقِّ تعظيمًا ولا توقيرًا »(١). أما قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حجة الوداع: { إِنَّ لَكِ مِنَ الْأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ }(٢).**

ذلك لأن المكلَّف ليس له أن يقصِد المشقَّة في العمل نظرًا إلى عِظَمِ أجرِها، ولكن أن يقصِدَ العملَ الذي يَعظُم أجرُه لِعَظْمِ مشقَّتِه (كالجهادِ، وطولِ قيام الليل). فالأجرُ على قَدْر منفعةِ العمل ومصلحته وفائدته، لا على قدر المشقَّة.

• والنَّذْر للموتى من الأنبياء والمشايخ والأولياء وغيرهم، أو لقبورهم شرك ومَعصِيَة لله تعالى، وفيه تشبُّه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأوثان.

• قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى عَنْ النَّذْر وَقَالَ: **{ إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ الْبَخِيلِ}**. فَإِذَا كَانَ النَّذْر لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ فَكَيْفَ بِالنَّذْر لِلْمَخْلُوقِ »،... وقال أيضًا: « فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّذْر لِلْمَخْلُوقِينَ يَجْلِبُ

---

(١) قواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام (١/ ٣٦).

(٢) أخرجه مسلم: ك: الحج، ب: بيان وجوه الإحرام، ح (١٢١١)، واللفظ للحاكم في مستدركه، ح (١٧٣٣).

لَهُ مَنْفَعَةً أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَضَرَّةً فَهُوَ مِنْ الضَّالِّينَ كَالَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ عِبَادَةَ الْمَخْلُوقِينَ تَجْلِبُ لَهُمْ مَنْفَعَةً أَوْ تَدْفَعُ عَنْهُمْ مَضَرَّةً »(١).

ومن قال إنه يَشفي (أي المقبور) مثل نذره فهو كاذب، يجب أن يتوبَ ويُستتابَ، كمن صام لغير الله، وسجد لغير الله، وحجَّ إلىٰ قبر من القبور، وكل ذلك شِركٌ لا خِلاف عليه.

فجميع أنواع العبادات يجب أن تُصرَف لله تعالىٰ وَحْدَه (كالسجود، والعبادة، والتوكُّل، والتقوىٰ، والتوبة، والنَّذْر، والحَلِف، والتسبيح والتهليل، والطواف بالكعبة، والدعاء) لا يصلح ولا ينبغي أن تصرَف لسواه، سواء أكان ملَكًا مقرَّبًا، أم نبيًّا مرسلًا.

والنَّذْر للمخلوق نوع من الاستغاثة به، فاستغاثوا بمن لا يُبدي ولا يُعيد، ولا يملِك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا.

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « النَّذْر بالمال للميت ونحوه، والنَّحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه، هو بعينه الذي كانت تفعله الجاهليَّة، وإنَّما كانوا يفعلونه لِمَا يسمُّونه وثنًا وصنمًا، وفعله القبوريون لِمَا يسمُّونه وليًّا وقبرًا ومَشهدًا، والأسماء لا أثر لها ولا تغيِّر المعاني ضرورة لغويَّة وعقليَّة وشرعيَّة، فإنَّ مَن شرب الخمرَ وسمَّاها ماء (أو مشروبًا

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٨١ – ٨٢).

روحيًا، أو بيرة أو..)، ما شربَ إلاَّ خَمرًا، وعقابُه عقابُ شارب الخمر، ولعلَّه يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية» (١).

وقال في موضع آخر: « إن قلتَ: هذا أمرٌ عَمَّ البلادَ، واجتمعت عليه سكان الأغوار والأنجاد، وطبَّق الأرضَ شرقًا وغربًا، ويَمنًا وشامًا، وجنوبًا وعَدَنًا، بحيث لا تجدُ بلدةً من بلاد الإسلام إلاَّ وفيها قبورٌ ومشاهدُ وأحياءٌ، يعتقدون فيها ويعظِّمونها وينذرون لها، ويهتِفون بأسمائها ويحلِفون بها، ويطوفون بفِناء القبور، ويُسرِجونها ويُلقون عليها الأوراد والرياحين، ويُلبِسونها الثياب، ويصنعون كلَّ أمر يقدرون عليه من العبادة لها، وما في معناها من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلُّل والافتقار إليها. ولا يَسَعُ عقلَ عاقل أنَّ هذا منكرٌ يبلُغُ إلى ما ذكرتَ مِن الشَّناعة، ويَسكتُ عليه علماءُ الإسلام الذين ثبَتت لهم الوَطأة في جميع جهات الدنيا.

قلتُ: إن أردتَ العدلَ والإنصافَ، وتركتَ متابعة الأسلاف، وعرفتَ أنَّ الحقَّ ما قام عليه الدليلُ، لا ما اتَّفق عليه العوالِم جيلًا بعد جيل، وقَبيلًا بعد قبيل، فاعلم أنَّ هذه الأمور التي نُدَندِنُ حولَ إنكارِها، ونسعَى في هَدم منارِها، صادرةٌ عن العامة الذين إسلامهم

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٦١).

تقليدُ الآباء بلا دليل، ومتابعتُهم لهم من غير فرق بين دَبير وقَبيل »(١).

وقول الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وتركت متابعة الأسلاف » إشارة منه إلىٰ نَبذِ العوائد الضالة، والاعتقادات المنحرِفة التي درَج عليها الجيل بعد الجيل حتىٰ صارت عند بعض الناس كالنُّصوص من الكتاب والسُّنَّة.

• **ويقول الشوكاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّ السبب الأعظم الذي نشأ منه هذا الاعتقاد في الأموات هو ما زيَّنه الشيطانُ للناس من رَفع القبور، ووضع الستور عليها، وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة، وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينُه علىٰ قبر من القبور قد بُنيت عليه قبة فدخلها، ونظر علىٰ المقبور الستور الرائعة، والسُّرُجَ المتلألئة، وقد سطعت حوله مَجامرُ الطِّيب، فلا شكَّ ولا ريبَ أنَّه يَمتلئُ قلبُه تعظيمًا لذلك القبر، ويَضيق ذهنه عن تصوُّر ما لهذا الميت من المنزلة، ويدخله مِن الروعة والمهابة ما يزرع في قلبه من العقائد الشيطانيَّة، التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين، وأشدِّ وسائله إلىٰ ضلال العباد، ما يُزلزلُه عن الإسلام قليلًا قليلًا، حتىٰ يطلب من صاحب ذلك القبر ما لا يقدِر عليه إلاَّ اللهُ سبحانه، فيصير في عداد المشركين »(٢).

---

(١) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص (٧٦).

(٢) الدر النضيد، للشوكاني، ص (١١٣).

• ومن هنا تُدرِك عظمة الشريعة في النهي عن البناء على القبور وتَجصيصها، والكتابة عليها، والصلاة عندها، وشدِّ الرِّحال إليها، لأنها ذريعة إلى عبادتها من دون الله تعالى، والواقعُ يشهد ذلك.

ولا نذر في مَعصِيَة الله تعالى، ولا في قَطيعة رحِم، ولا فيما لا نملك.

• عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَخَوَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ بَيْنَهُمَا مِيرَاثٌ فَسَأَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ الْقِسْمَةَ فَقَالَ: لَئِنْ عُدْتَ سَأَلْتَنِي الْقِسْمَةَ لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا وَكُلُّ مَالِي فِي رِتَاجِ الْكَعْبَةِ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ الْكَعْبَةَ لَغَنِيَّة عَنْ مَالِكَ، كَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَكَلِّمْ أَخَاكَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **لَا يَمِينَ عَلَيْكَ وَلَا نَذْرَ فِي مَعصِيَة الرَّبِّ وَلَا فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَلَا فِيمَا لَا تَمْلِكُ** }[١].

وإذا كان هذا في الكعبة فغيرُها من المَشاهد والقبور أولى.

• وقد حكى الشيخ الصديق حسن خان الإجماع على بُطلان النُّذور والذِّباح للأضرحة حيث قال: « **باب في إجماع علماء المذاهب الأربعة، وكُفر من يدعو غير الله، وبُطلان النذور والذباح للأضرحة** »[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، ح (٧٨٢٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وابن حبان في صحيحه، ح (٤٣٥٥).

(٢) الدِّين الخالص، لصديق حسن خان (٤/ ٩٧).

ونقل الشوكاني الإجماع على أن النَّذْر الذي يقع من أكثر العوام بأن يأتي قبور بعض الصالحين قائلًا: ياسيدي فلان إنْ ردَّ الله غائبي أو عُوفِيَ مريضي فلَكَ كذا وكذا، باطلٌ إجماعًا (١)، ثم ذكر أن بعض الناس يعتقد في الميت بأنه بتصرَّف في الأمر وقال: « واعتقادُ هذا كفر ».

وقد انتشر ذلك عن طريق بعض المتصوِّفة الذين يزعُمون أن الكون بيد الأقطاب الأربعة أو غيرهم، والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ **قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾** ﴾ [سبأ].

• ولا شكَّ أن النَّذْر لهذه الأماكن باطل غير منعقد، والفتوى على أن من نذر أن يذبح لغير الله فقد أشرك، ويحرُم عليه الوفاء، وتجب عليه التوبة من الشِّرْك وفروعه.

والنَّذْر لغير الله مع ما فيه من الشِّرْك هو إهانةٌ للعقل البشري، ومَسْخٌ للدماغ والتفكير السليم، ومخالف للفطرة الربانيَّة الصحيحة المستقيمة، ودليل على اعوجاجها ولا يلجأ إليه إلا من انخَدَع من أصحاب العقول الضعيفة ومن دراويش الصوفيَّة، ومن حذا حذوهم من المبتدعة المحسوبين على أُمَّة الإسلام، فيطلبون من ذلك المقبور الشفاء، وقضاء

(١) الدر النضيد، للشوكاني، ص (٤٠)، وحاشية ابن عابدين (٢/ ٤٣٩).

الحاجات، وردَّ الغائب، وما شابه ذلك من أنواع العبادات التي لا يجوز صرف شيء منها لغير الله، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك، فضلًا عن أن هؤلاء المقبورين مجتمعين أو متفرِّقين لا يقدِرون على قضائها أو تحقيقها لطالبيها، لأنها من خصائص الألُوهيَّة المَحْضَة.

• ومن الطامَّة أن بعض جهَلَة المسلمين تعدَّى ذلك الحدَّ فذهب إلى قبور النصارى وكنائسهم وأديرَتِهم يضع الأموال في صناديق النذور، يستعين بهم على قضاء الحاجة، وتفريج الكروب، والشفاء من بعض الأمراض، أو للتداوي من أعمال السحر وغيرها، وذلك إمعانًا في الضلال والشِّرْك، وقد يستغل بعض القساوسة في الكنائس جهل أولئك السُذَّج فينشُرون الإشاعات والأكاذيب، ويروِّجون لمعتقدهم الفاسد بين هؤلاء، ويزيِّنون للجُهَّال، وقد كثر ذلك في النساء خاصة، وقد وقع بعضهم في الزنا والمساومة على العرض، ناهيك عن الشِّرْك والكفر.

ومن أمثلة مَن يفعل ذلك من جهلة المسلمين مَن ينذر لماري جرجس أو مريم العذراء، أو يتبرَّك بشجرتها المزعومة، أو غير ذلك.

• يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَمن نذَر لقبر من قُبُور النَّصَارَىٰ فَإِنَّهُ يُسْتَتَاب بل كل من عظم شَيْئا من شَعَائِر الْكفَّار مثل

الْكَنَائِس أَو قُبُور القِسِّيسين أَو عظم الْأَحْيَاء مِنْهُم يَرْجُو بركتهم فَإِنَّهُ كَافِر يُسْتَتَاب » (١).

* ومما لا شكَّ فيه أن الأفعال والأقوال الشِّرْكيَّة التي يفعلها الجهَّال والضلَّال من المسلمين عند القبور قد سَرَتْ إليهم من اليهود والنصارىٰ اتِّباعا لسنَّتِهم وتشبُّهًا بهم، ولقد حذَّرنا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك وتنبأ به في قوله: { **لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»، **قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِّ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: { فَمَنْ }** (٢)، يعني: فمن القوم إلا هم ؟!.

• **والنَّذْر لغير الله من الشِّرْك الاعتقادي، لأن الناذر لم ينذر هذا النَّذْر (لغير الله تعالى) إلا لاعتقاده في المنذور له بأنه ينفع ويضرُّ، ويُعطي ويَمنع، إما بطبعه أو بقوة سليبة فيه، ويجلب الخير ويدفع الشرَّ والسوء، فماذا بقي لله تعالى عند هؤلاء؟!**

والدليلُ عل فساد اعتقاد هؤلاء أنك تجدهم يقولون: أنهم وقعوا في شدائد، فنذَروا نذرًا لفلان الولي فانكشف كَرْبُهم، وزالت شدتُهم، واستراحت خواطرهم، فقد قام في نفوسهم أن هذه النذور هي السبب

(١) مختصر الفتاوى المصريَّة، ص (٥٥٢).
(٢) سبق تخريجه.

في حصول مطلوبهم ودفع مرهوبهم، ومن تدبَّر وتأمَّل هذا يجده مساويًا لما جعله المشركون لأصنامهم وآلهتهم، في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦] (١).

***

▫ **بدعَة كسوة القبور:** وسَترُها بالقماش وغيره ليس مشروعًا في الدِّين، وبَيع الكسوة القديمة قِطعةً قطعةً للعوام والزائرين استغلالٌ، وأكل أموال الناس بالباطل.

فإن كان الإسلام لم يُبِحْ كسوة الجدران في البيوت فمن باب أولىٰ كسوة القبور.

ولقد عدَّها الشيخ علي محفوظ من البدع فقال: «ومن البدع الستور علىٰ الأضرحة ووضع الشيلان والعمائم علىٰ تابوت الأولياء والعلماء، وهذا من صرف المال لغير غرض شرعي، وعبث وتضليل البسطاء من العامة، ولقد نهىٰ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كسوة الحجارة والطين، وهذه الستور جعلت لينتفع بها الأحياء فاستعمالها في ستر الجماد تعطيل وعبث»(٢).

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق، ص (٣٨٢) بتصرف.
(٢) الإبداع في مضارِّ الابتداع، لعلي محفوظ، ص (١٩٩).

• ووضع السُّتور بدعة ضلالة، لم يفعلها النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا أصحابه الكرام، ولا أحد من السلف الصالح، وقد أجمع المسلمون على أنه ليس من دين الإسلام.

ويقول الغزالي رَحِمَهُٱللَّهُ: « **فقد أقبل المسلمون على بناء المساجد فوق قبور الصالحين، وتنافسوا في تشييد الأضرحة حتى أصبحت تُبنى على أسماء لا مسمَّيات لها، بل قد بنيت على ألواح الخشب وجثث الحيوانات ومع ذلك فهي مزارات مشهورة معمورة تُقصَد لتفريج الكروب، وشفاء المريض، وتهوين الصعاب، ووقع المحظور** ».

• ويقول الشيخ أبو الوفا درويش رَحِمَهُٱللَّهُ: « إن القبور التي أقيمت في القاهرة وغيرها من المدن الإسلاميَّة، والقرى باسم أهل البيت وغيرهم من الأولياء والصالحين، لا عظة في زيارتها، ولا اعتبار ولا هدايَة ولا أذكار، إنما العظة في زيارة القبور الشرعيَّة اللاطئة بالأرض، المجرَّدة من كل زينة وصورة وقبة وثوب، وعمامة وتابوت وسدَنة ومسجد، العظة في تلك الأجداث الهامدة المغبرة... التي تُشْعِرُكَ بأن هذا العظيم أو ذاك أصبح رفاتًا سحيقًا، وصعيدًا جرزًا، لا في تلك التي تُوسوس إليك أن ساكنها صار بطلًا مقصودًا، أو إلهًا معبودًا، تلك التي صارت أصنامًا وأوثانًا وطواغيت تُدعَى

من دون الله، ويرجَىٰ منها ما لا يرجَىٰ إلا من الله.

فواجبٌ أن تسوَّىٰ هذه القبور بالأرض حتىٰ تصير قبورًا شرعيَّة تحصل العظة بزيارتها، فإذا عجزنا عن هدمها وتسويتها بالأرض فلا أقل من أن نتجنَّب زيارتها، وكيف تحصل العظة، وتأتي العبرة بأوثانٍ قائمةٍ، وأصنامٍ منصوبة تخدِمها السَّدَنَة، ويطوف من حولها العابدون ؟!»(١).

• ويكذِبون علىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أكاذيب سخيفة يضحك بها السَّدَنَةُ علىٰ عقول العوام، وهي أحاديث باطلة، يتبوؤون بها مقعدًا في النار، منها علىٰ سبيل المثال: «إن الله وكل بكل قبر ولي ملكًا يقضي حوائج الناس»، ومن العَجَبِ العُجاب أنك قد تجد هذا الحديث في بعض الكتب التي كانت تدرس للتلاميذ في المعاهد الأزهريَّة، **وإنا لله وإنا إليه راجعون.**

• وصدق شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما قال: « والشِّرْك وسائر البدع مبناها علىٰ الكذب والافتراء، ولهذا: كل من كان عن التوحيد والسُّنَّة أبعد، كان إلىٰ الشِّرْك والابتداع والافتراء أقرب »(٢).

• إن إنكار ما يحدث عند قبور الأنبياء والصالحين، لا يحطُّ ذلك

(١) صيحة الحق، ص (٩٥- ٩٦).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٨١).

من مكانتهم، بل الواجب نحوهم أن نحبَّهم في الله تعالىٰ، ونؤيد دعوتهم، ونسلك سبيلهم.

لكننا نُنكِر علىٰ من يرفعهم فوق منزلتهم، ويدعوهم من دون الله، وهو يحسب أنه يُحِبُّهُمْ ويواليهم، وهو في الحقيقة من أعدىٰ أعدائهم، بل إنهم يكرهون الأفعال التي تحدث عند قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

• **يقول شيخ الإسلام** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**واعلم أن أهل القبور من الأنبياء والصالحين المدفونين، يكرهون ما يفعل عندهم كل الكراهة، كما أن المسيح** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **يكره ما يفعل النصارى به.... فلا يحسب المرء المسلم أن النهي عن اتخاذ القبور أعيادًا وأوثانًا فيه غض من أصحابها، بل هو من باب إكرامهم، ذلك أن القلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن سُنَّة ذلك المقبور وطريقته، مشتغلين بقبره عما أمر به ودعا إليه، ومن كرامة الأنبياء والصالحين أن يتبع ما دعوا إليه من العلم الصالح ليكثر أجرهم بكثرة أجور مَن اتبعهم، كما قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا } [١]»[٢].

ولا شك في أن النَّذْر للقبور أو للمقبور يدخل في إضاعة المال، وإنفاقه في غير حقه، والله عَزَّوَجَلَّ قد حرَّم إضاعة المال، ففي الحديث: { إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ } [٣].

وإضاعة المال: يكون بإنفاقه في غير الوجوه المشروعة وتعريضه للتلف، وإنفاق المال في النَّذْر للمقبور نوع من السَّفَهِ، وهو لا ينفعه ما أنفقه، ولا يدفع عنه ضررًا.

وما مصير هذه الأموال التي تجمع في صناديق النذور؟

هل تُنفَقُ في تعليم أبناء المسلمين؟

هل تُنفَقُ في بناء مساكن للشباب الأعزب لحمايته من الفتن؟

هل تُنفَقُ لبناء مستشفيات يُعالَج فيها المرضى ويؤمَّن لهم علاج

---

(١) أخرجه مسلم: ك: العلم، ب: من سن سُنَّة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (٢٦٧٤).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٦٩).

(٣) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: عقوق الوالدين من الكبائر، ح (٥٩٧٥)، ومسلم: ك: الأقضية، ب: النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، ح (٥٩٣).

للمرضى الفقراء؟

ورحم الله الشاعر المسلم:

أحياؤنا لا يرزقــون بدرهمٍ وبألف ألفٍ ترزق الأمواتُ

• **وهل يتقبل الله تعالى نذرًا يعتقد صاحبه أنه واسطة بينه وبين الله في تفريج الكربات وقضاء الحاجات ونيل المرادات؟**

فهو مال غير طيب، والله طيب لا يقبل إلا طيِّبًا، لذلك تجد أن هذه الأموال معرَّضة للسرقة والاستغلال ولا ينتفع بها إلا القائمون عليها.

لذلك أفتى الشيخ عبد المجيد سليم مفتي الديار المصريَّة سابقًا بتحريم النَّذْر للقبور، فقد سُئِلَ عن حكم النَّذْر على الأضرحة والأولياء، فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اطلعنا على السؤال، ونفيد: قد جاء في كتاب: «البحر» قبل باب الاعتكاف من الجزء الثالث نقلًا عن الشيخ قاسم، وفي «شرح الدُّرَر» ما نصُّه: «**وأما النَّذْر الذي ينذره أكثر العوامِّ على ما هو مُشاهَد: كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة ضروريَّة، فيأتي بعض الصلحاء فيجعل ستره على رأسه فيقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي أو عوفيَ مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماء كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا، فهذا النَّذْر**

باطل بالإجماع لوجوه:

منها: أنه نذر لمخلوق، والنَّذْر لمخلوق لا يجوز لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق، ومنها أن المنذور له ميِّت، والميِّت لا يملك.

ومنها: أنه ظن أن الميت يتصرَّف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاده ذلك كفر... إلى أن قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها، وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرُّبًا إليهم فحرام بإجماع المسلمين، ما لم يقصِدوا صرفه للفقراء الأحياء قولًا واحدًا...**

وقال الشيخ عبد الرحمن قُراعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته التي ألفها في النذور وأحكامها: « ما أشبه ما يقدِّمون من قربان، وما ينذرون من نذور، ما يعتقدون في الأضرحة وساكنيها، بما كان يصنع المشركون في الجاهليَّة، وما يغني عنهم نفي الشِّرْك عنهم بألسنتهم، وأفعالهم تُنبئ عما يعتقدون: من أن هؤلاء الأولياء لهم نافعون ولأعدائهم ضارُّون»(١).

• **وقال الصنعاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **وَأَمَّا النُّذُورُ الْمَعْرُوفَةُ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ عَلَى الْقُبُورِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْأَمْوَاتِ فَلَا كَلَامَ فِي تَحْرِيمِهَا لِأَنَّ النَّاذِرَ يَعْتَقِدُ فِي صَاحِبِ الْقَبْرِ أَنَّهُ يَنْفَعُ وَيَضُرُّ، وَيَجْلِبُ الْخَيْرَ وَيَدْفَعُ الشَّرَّ، وَيُعَافِي الْأَلِيمَ، وَيَشْفِي السَّقِيمَ.**

---

(١) الفتوى في دار الإفتاء مسجلة برقم (٢٧١٥)، موضوع (٣٨٧).

وَهَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ عِبَادُ الْأَوْثَانِ بِعَيْنِهِ فَيَحْرُمُ كَمَا يَحْرُمُ النَّذْر عَلَى الْوَثَنِ وَيَحْرُمُ قَبْضُهُ لِأَنَّهُ تَقْرِيرٌ عَلَى الشِّرْك، وَيَجِبُ النَّهْيُ عَنْهُ وَإِبَانَةُ أَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْمُحَرَّمَاتِ وَأَنَّهُ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ عُبَّادُ الْأَصْنَامِ، لَكِنْ طَالَ الْأَمَدُ حَتَّى صَارَ الْمَعْرُوفُ مُنْكَرًا وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا » (١).

• وقد أطال الشوكاني في ذلك في رسالته المسماة: «شرح الصدور في تحريم رفعِ القبور»، ولولا خشيَة الملَلِ لذكرناه، وما ذكرناه فيه الكفايَة.

وما ذُكَر يبيِّن: أن نذر العوام لأرباب الأضرحة أو التصدق لهم تقربًا إليهم، وهو ما يقصده هؤلاء الجهلة مما ينذرونه أو يتصدقون به حرام بإجماع المسلمين، والمال المنذور أو المتصدَّق به يجب ردُّه لصاحبه إن علم، فإن لم يعلم فهو من قبيل المال الضائع الذي لا يعلم له مستحق فيصرَف على مصالح المسلمين أو على الفقراء، ولا يتعين فقير بصرفه إليه فليس لفقير معين.

وقال الدكتور محمود حمدي زقزوق «وزير الأوقاف»: في خطاب له للصحفي أحمد رجب: «أودُّ أن أوضح أن النَّذْر لأصحاب الأضرحة والأولياء والصالحين باطل بإجماع الفقهاء، لأنه نذر

(١) سبل الإسلام شرح بلوغ المرام للصنعاني (٢/ ٥٥٨).

لمخلوق، والنَّذْر عبادة، وهي لا تكون لمخلوق، وإنما تكون للخالق، والنَّذْر لله من العبادات، ويعد وسيلة من وسائل التقرب إلى الله، وقد أقر الإسلام النَّذْر، وجعل الوفاء به ملزمًا، أما النَّذْر لغير الله فإنه فضلًا عن أنه باطل وغير مشروع فإنه لا يجوز الوفاء به، ومن جانبنا نقوم بتوجيه أئمة المساجد إلى توضيح ذلك لجماهير الناس»(١).

وما ذكرناه على النَّذْر ينطبق على الذَّبْح لله: لأنه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، لا لنبيٍّ مرسَل، ولا ملَك مقرَّب، ولا ولي صالح أو عابد من العباد، أو غير ذلك من الأموات.

قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام].

• **قال الحافظ ابن كثير: «يَأْمُرُهُ تَعَالَى أَنْ يُخْبِرَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللهِ وَيَذْبَحُونَ لِغَيْرِ اسْمِهِ، أَنَّهُ مُخَالِفٌ لَهُمْ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ صَلَاتَهُ للهِ وَنُسُكَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر]. أَيْ: أَخْلِصْ لَهُ صَلَاتَكَ وَذَبِيحَتَكَ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيَذْبَحُونَ لَهَا، فَأَمَرَهُ اللهُ تعالى**

---

(١) جريدة الأخبار العدد (٢٧٣٣) بتاريخ: (١٣/ ١١/ ١٤١٧-٢٣/ ٣/ ١٩٩٧م).

بِمُخَالَفَتِهِمْ وَالِانْحِرَافِ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ بِالْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ وَالْعَزْمِ عَلَى الْإِخْلَاصِ للهِ تَعَالَى »[١].

والمراد بالنُّسُكِ: قيل الذبيحة في الحج والعمرة، وقيل: النُّسُك كل ما يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى من صلاة وحجٍّ وذَبْح وعبادة.

• فالذَّبح لغير الله شِركٌ، وهذا بَيِّنٌ عند التأمل، لذلك أكَّد الله تعالى في الآية السابقة: ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي لا لغيره، فمن صرفها لغيره فهو مشرك.

• والذَّبح كما يقول **الشيخ ابن عثيمين**[٢] على ثلاثة أوجه:

الأول: عبادة يُقصَد به تعظيم المذبوح له، والتذلُّل له، والتقرُّب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفُه لغير الله شرك أكبر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنعام].

الثاني: إكرام للضيف، أو وليمة عُرْس، أو نحو ذلك، فهذا مأمور به، إما وجوبًا أو استحبابًا، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **وَمَنْ كَانَ**

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٣).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، ص (٦٣) بتصرف.

يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ } (١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: { أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ } (٢).

الثالث: أن يقع على وجه التمتُّع به بالأكل أو الاتِّجار به ونحو ذلك فهذا مباح لقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾**﴾ [يس].

وفي الحديث: { **لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ** } (٣).

ولا يحل الأكل من الذبائح التي ذُبحت لغير الله تعالى.

• **قال ابن حجر الهيتمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وجعل أصحابنا مما يحرِّم الذبيحة أن يقول: باسم الله واسم محمد رسول الله، أو يذبح كتابيٌّ لكنيسة أو لصليب أو لموسى أو لعيسى، أو مسلم يذبح للكعبة أو لمحمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **أو تقرُّبًا لسلطان أو غيره أو للجِنِّ، فهذا كله**

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ح (٦٠١٨)، ومسلم: ك: الإيمان، ب: الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ح (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك: النكاح، ب: الصفرة للمتزوج، ح (٥١٥٣)، ومسلم: ك: النكاح، ب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، ح (١٤٢٧).

(٣) أخرجه مسلم: ك: الأضاحي، ب: تحريم الذَّبْح لغير الله تعالى، ح (١٥٦٧).

يُحَرِّمُ المذبوح، وهو كبيرة على ما مرَّ »(١).

فإذا كان الذَّبح باسم محمد أو موسىٰ أو عيسىٰ عليهم الصلاة والسلام، وهم من أولي العزم، فكيف يجوز الذَّبح للحسين والبدوي والسيدة والجيلاني وابن علوان وغيرهم؟!

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن ذبح لغير الله من حيوان أو جماد كالصنم علىٰ وجه التعظيم لم تَحِلَّ ذبيحته، وكان فعله كفرًا كمن سجد لغيره سجدة عبادة »(٢).

وتأمَّل كيف جمع الله تعالىٰ بين الصلاة والذَّبح في قوله تعالىٰ: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ** ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر].

• وما يفعله بعض الجهَّال من تربيَة عجل «مثلًا» وتسمينه للذبح عند السيد البدوي مثلًا، هذا الفعل مشابه لمن كانوا يُسَيِّبون السَّوائِبَ لأصنامهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ **مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المائدة].

وقال تعالىٰ مبيِّنًا جهلَ العرب في الجاهليَّة الأولىٰ: ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ**

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (١/ ٣٥١).
(٢) روضة الطالبين، للنووي (٣/ ٢٠٦).

مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ [الأنعام].

• قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « قال بعض أهل العلم: إن إراقة دماء الأنعام عبادة، لأنها إما هَدْي أو ضَحِيَّة أو نُسُك، وكذلك ما يُذبَح للبيع، لأنه مكسب حلال فهو عبادة، ويتحصَّل من ذلك شكل قطعي هو: أن إراقة دماء الأنعام عبادة، وكل عبادة لا تكون إلا لله، فإراقة دماء الأنعام لا تكون إلا لله »[١].

ويدخل في الحرمة أيضًا من ذبح للجن لدفع شَرِّه أو أذاه، أو قضاء حوائج، أو تلبية لقول الساحر أو الكاهن، كل ذلك يُعَدُّ شِركًا في عبادة الله تعالى.

• قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به أو تقرَّب إليه بما يحب فقد عَبَدَهُ، وإن لم يسمِّ ذلك عبادة، بل يُسمِّيه استخدامًا ما »[٢].

---

(١) الدر النضيد، ص (١٠).

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم (٢/ ٢٣٥).

• ويقول الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذَّبح للجنِّ يفعله كثير من أهل الجهل والضلال في البوادي والقرىٰ والبلدان، فإذا مرض الشخص أو أصابه داء أو جنون ذبحوا كبشًا أو غيره للجن، ويزعمون أن الجن أصابته بسبب حدث منه، فيذبحون عنده ذبيحة للجن يقصدون تخليصه مما أصابه من ذلك الداء، وهذا من الشِّرْك الذي لا يغفره الله عَزَّوَجَلَّ إلا بتوبة صادقة، وفاعل ذلك مشرك يُستتاب، والذبيحة علىٰ هذا الوجه حرام لا يُباح لمسلم أكلُها وإن ذكر اسم الله عليها لأنها مما أُهِلَّ به لغير الله، كذبائح الكفار يذبحونها للأصنام والشمس والكواكب»(١).

ومما حرَّمه الله تعالىٰ من الذبائح: ﴿**وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ**﴾[المائدة: ٣]، وهو بمنزلة ما ذبح لغير الله تعالىٰ، وقد ذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «الكبائر» «الكبيرة الثامنة والخمسين: الذَّبح لغير الله عَزَّوَجَلَّ مثل أن يقول: باسم الشيطان أو للصنم أو باسم الشيخ فلان»(٢).

• وفي تحريم النَّذْر والذَّبح لغير الله تعالىٰ حمايَة للتوحيد، وسدٌّ لذرائع الشِّرْك، والتَّشَبُّه باليهود والنصارىٰ والمجوس والصابئة وأهل

---

(١) حجة التحريض، ص (٣٥).
(٢) الكبائر، ص (٢١٩).

الجاهليَّة، كما نهىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة في مسجد الضرار، وأمر بحرقه حمايَة لمساجد الله تعالىٰ التي أسِّست علىٰ التقوىٰ، لأن مسجد الضِّرار أُعِدَّ للمَعصِيَة فصار محل غضب الله تعالىٰ، فلا تجوز الصلاة فيه، وقد قرن الله تعالىٰ الصلاة بالذَّبْح، والصلاة والنَّذْر والذَّبْح عبادة لله وَحْدَه.

***

• حكم الذَّبْح عند القبور:

قد يقول قائل: أنا أذبح لله تعالى عند القبر لأوزعها على الفقراء، وهذا وَهْمٌ وتلبيس من الشيطان، فهو يزيّن لهم العمل، ليبرره لهم، ذلك لأن الذَّبْح عند القبور ليس من هدي النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أمر لم يُخصِّصه الشرع، وإذا كان الذابح قد ذبح لله تعالى كما يزعم فلماذا جاء بذبيحته عند القبر بالذات؟!

ولا شك أن الفقراء في كل مكان، كما أن الأقربين والجيران هم أولىٰ بها شرعًا وعرفًا.

وسدُّ الذرائع من أصول الدِّين، فإن كان الذَّبْح لله تعالىٰ فلأي شيء قرَّبتَ ما تنحره عند القبر؟ هل أردتَ تعظيمه أو التماس البركة والقبول هناك أم ماذا ؟

• وقد يترك الناس الأضحيَّة، وهي من أعظم القربات لله تعالى، وينتظر المولد (كمولد البدوي، والرفاعي وغيره) ليذبح فيه، وهذا من تعظيم الأموات، والبدع المنكرات، لهذا قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الذَّبح والعقر عند القبر فمذموم، لحديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: { لَا عَقْرَ فِي الْإِسْلَامِ }(١)»(٢).

قال الشيخ ناصر الدِّين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا إذا كان الذَّبح هناك لله تعالى، وأما إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهَّال فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١]»(٣).

ولا يشرع شيء من العبادات عند القبور حتى الصدقة وغيرها.

وقد يكون في الذَّبح عند القبر، وتوزيع الصدقات والخبز رياءٌ وسمعةٌ ومُفاخَرةٌ.

* * *

(١) أخرجه أبو داود : ك: الجنائز، ب: كراهية الذَّبح عند القبر (٣٢٢٢)، وصحَّحه الألباني.
(٢) المجموع شرح المهذب، للنووي (٥/ ٣٢٠).
(٣) أحكام الجنائز، للألباني، (ص:٢٠٣).

◘ الزيارة وشد الرحال إلى مساجد وأضرحة الأولياء والصالحين:

• الأصل أن زيارة القبور مشروعة وتذكر بالآخرة، وتذكر بالموت، وترقق القلب، وتأخذ منها العبرة والعظة فيكون ذلك عونًا لك على رد الحقوق، ومنعك من الظلم والجور، والتقصير في حق الله.

والنبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما أباح زيارة القبور بعد أن نهى عن زيارتها حذرًا من القول هَجرًا، أو نقول ما يسخط الله تبارك وتعالى.

ولا شكَّ أن الهَجر، وأن ما يُسخط الرب جلَّ وعلا هو: دعاء الميت، والاستغاثة به، وسؤال الله تعالى بحقه، وحدوث مجالس الغيبة والنميمة عندها، واتخاذها مسكنًا ومقيلًا ومجلسًا.

• وإذا أردت أن تعلم الآداب والحدود المشروعة للزيارة، فتلك زيارة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقبر أمه، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ** }[١].

***

---

(١) **أخرجه مسلم: ك: الجنائز، ب: استئذان النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **ربه** عَزَّ وَجَلَّ **في زيارة** قبر أمه، ح (٩٧٦).

والفرق بين زيارة القبور الشرعيَّة، والزيارة الشِّرْكيَّة هو أن:

الزيارة الشِّرْكية: أن يطلب الزائر فيها المدَد، أو استغاث بالميت، أو طاف حول قبره، أو تمسَّح بالتراب، أو تحرَّىٰ الدعاء أو الذَّبح أو الصدقة أو إطعام الطعام عنده، أو نذر له، أو قصده في الملمَّات والحاجات.

وقد نهىٰ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شدِّ الرِّحال إلا لثلاثة مساجد هي: المسجد الحرام، ومسجد النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمسجد الأقصىٰ.

• عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: { **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَمَسْجِدِ الأَقْصَى** }[1].

وظاهر النهي: المنعُ والتحريمُ.

• وعند الإمام أحمد بسنده أنَّ أَبا بَصْرَةَ الْغِفَارِيَّ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَهُوَ جَاءٍ مِنَ الطُّورِ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ؟ قَالَ: مِنَ الطُّورِ صَلَّيْتُ فِيهِ، قَالَ: أَمَا لَوْ أَدْرَكْتُكَ قَبْلَ أَنْ تَرْحَلَ إِلَيْهِ مَا رَحَلْتَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: { **لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** }[2].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلاة، ب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ح (١١٨٩)، ومسلم: ك: الحج، ب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، ح (١٣٩٧).

(٢) أخرجه أحمد، ح (٢٣٨٥٠).

وَعَنْ عَرْفَجَةَ قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ عُمَرَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ آتِيَ الطُّورَ قَالَ: « إِنَّمَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، وَدَعْ عَنْكَ الطُّورَ فَلَا تَأْتِهِ »[١].

• والسَّفَرُ لزيارة المَشاهد والأَضْرِحَة ليس من عمل الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا أصحابه، ولم يَرِد في السُّنَّة أنه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سافر لزيارة قبر أحد من إخوانه الأنبياء والمرسلين، ولا قبر أحد من صحابته الكرام الذين ماتوا في حياته.

فإن قال قائل: أنا أسافر للزيارة لأدعو للميت عند قبره، لا للتبرُّك بزيارة قبره، نقول له: بإمكانك أن تدعو له وأنت في بيتك أو مسجدك، فيحصل الدعاء دون شدِّ الرحال، وارتكاب البدع.

• فالسَّفَرُ إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، وهو مخالف للسنة وسبيل المؤمنين، ولم تحدث بدعة السفر هذه إلا بعد القرون المفضَّلة.

• سئل مالك عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **إن كان أراد المسجد فليأته وليصلِ فيه، وإن كان أراد القبر فلا يفعل.**

وليس في شدِّ الرحال لزيارة القبور ترغيب وفضيلة في الكتاب

---

(١) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه، برقم (٩١٧١).

والسُّنَّة، بل ورد النهي والتحذير من ذلك.

ومن زعم وجود فضل لشدِّ الرِّحال ظهر للمتأخرين، ولم يظهر للنبيِّ وأصحابه فإنما ذلك من تلبيس إبليس، وإلقاء الشيطان لهم، وهي بذلك تعدُّ نقيصة لا فضيلة.

• **قال شيخ الإسلام: « وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ قَالَ: « عَلَيْك بِلُزُومِ السُّنَّة فَإِنَّهَا لَك بِإِذْنِ اللَّهِ عِصْمَةٌ. فَإِنَّ السُّنَّةَ إنَّمَا جُعِلَتْ لِيُسْتَنَّ بِهَا وَيُقْتَصَرَ عَلَيْهَا وَإِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنْ الزَّلَلِ وَالْخَطَإِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ. فَارْضَ لِنَفْسِك بِمَا رَضُوا بِهِ لِأَنْفُسِهِمْ. فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا. وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِهَا أَقْوَى. وَبِتَفْصِيلِهَا لَوْ كَانَ فِيهَا أَحْرَى» »**(١).

وكل وسيلة إلى الشِّرك نهى الإسلام عنها من باب سدِّ الذرائع: لذلك حرم الإسلام صلاة النافلة في الأوقات التي يسجد فيها عباد الشمس لها، ونهى أن يقول الرجل: ما شاء وشئت، ونهى عن الحلف بغير الله، وعن تعليق التمائم، والصلاة إلى القبر، وأن يتخذ القبر مسجدًا وكل ذلك كان حرصًا على صفاء التوحيد ونقائه في قلوب العباد.

فضلًا عن أن تعظيم الأماكن والبقاع، واتخاذها مزارات وأعيادًا

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٧).

هو من أعمال أهل الكتاب الذين نهانا الله تعالىٰ عن التَّشَبُّه بهم، واتِّباع سبيلهم.

• وما اتخذ الصحابة ولا التابعون من بعدهم الأماكن التي صلىٰ فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أسفاره مساجد، ولا مزارات.

***

• والشيعة والروافض هم أول من قاموا بوضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد والقبور، فقد أَلَّفوا كتابًا بعنوان: «حج المشاهد» حوىٰ جملة من الأحاديث الموضوعة تحُضُّ علىٰ الزيارة والسفر للقبور والمشاهد، وذكروا فيه أن الحج للمشاهد أفضل من السفر لحج بيت الله الحرام إلىٰ آخر ما ذكروه وافتروه، ومنها:

حديث: « **مَن حجَّ فلَمْ يَزُرْني فقَد جَفاني** »، « **ومن زار قبري وجبت له شفاعتي** »، وهذه أحاديث موضوعة، ومكذوبة علىٰ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أن معانيها مخالفة للكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة.

• وأما الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ - وهو من أعلم الناس بحقوق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالسُّنَّة التي كان عليها أهل مدينته من الصحابة والتابعين - فقد كرِه أن يقال: زرت قبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو كان هذا اللفظ ثابتًا عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معروفًا عند علماء

المدينة لم يكره مالك ذلك.

وهنا يجب التفرقة بين زيارة قبره الشريف صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وشدِّ الرحال إليه لهذا الغرض فقط، فالمحرَّم شدُّ الرِّحال، أما زيارة قبره الشريف لساكني المدينة النبويَّة وزائريها من الحجَّاج والمعتمرين فلا شيءَ فيهِ البتَّةَ، على أن تكون النيَّةُ شدَّ الرِّحال لمسجده، والصلاة فيه.

أما حديث: { **زُورُوا الْقُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ** }(١).

فهذا ينطبق على من مرَّ بالقبور، أو كان قريبًا منها، لا على من شدَّ الرِّحال إليها، لأنه مقيَّد بقوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { **لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ...** } **الحديث**، وكلام رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يصدِّق بعضُه بعضًا.

وأما لفظ { **زُورُوا الْقُبُورَ** } لفظ مشتمل كلفظ: ﴿**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ** ١٤﴾[طه]، فلا بد من تفصيل فيها.

فالنزاع والخلاف في شدِّ الرحال إلى القبور نشأ عند المتأخرين، ولم ينقل عن إمام من أئمة المسلمين أنه قال إن هذا مستحبٌّ، وعلماء الأُمَّة يذكرون استحباب السفر إلى مسجده الشريف وزيارة قبره الشريف.

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ك: الجنائز، ب: ما جاء في زيارة القبور، ح (١٥٦٩)، وصحَّحه الألباني.

• يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَمَا عَلِمْت أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ قَالَ إنَّهُ مَنْ لَمْ يَقْصِدْ إلَّا زِيَارَةَ الْقَبْرِ يَكُونُ سَفَرُهُ مُسْتَحَبًّا... وَأَمَّا مَنْ يَعْرِفُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ وَمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ أَمَرَ بِالسَّفَرِ لِمُجَرَّدِ زِيَارَةِ قَبْرٍ لَا نَبِيٍّ وَلَا غَيْرِ نَبِيٍّ بَلْ صَرَّحَ أَكَابِرُهُمْ بِتَحْرِيمِ مِثْلِ هَذَا السَّفَرِ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ »(١).

ومن المعلوم أن كل عمل تُنُوزِعَ فيه: هل هو محرَّم أو مباح، فليس بقُربَة، كمن يلعب النرد والشطرنج، ويستمع إلى الغِناء والمعازف ونحو ذلك.

ثم إنَّ القولَ باستحباب شيء أو كراهته أو إباحته أو تحريمه لا بد أن يكون له دليل من الكتاب والسُّنَّة.

• ومعظم القبور التي تقصَد بالسفر وشدِّ الرِّحالِ في مساجد، وقد لعن الله ورسوله الذين يتخذون قبور الأنبياء مساجد، وأخبر أنهم من شِرار الخلق.

والنبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يأتي قباءَ راكبًا أو ماشيًا، وكان يزور القبور، ولم يَرِد أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شدَّ الرِّحال قاصدًا زيارتها البتَّة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٤٥- ٣٤٦).

وأعظمُ الناس تعظيمًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أطوعُ الناس له، وأشدُّهم حرصًا على اتِّباع سنَّته، والاقتداء به، وتحكيم شريعته وأمره عند النزاع، بل وفي كل الأمور. ومن تعظيمه ترك هوى النفس على أمره، وعدم عصيان أمره، وتقديم محبته على هوى النفس وشهواتها.

ومن تعظيمه عدم المغالاة فيه، أو مدحه بما ليس فيه.

- **وثمة فرق شاسع بين المَحبَّة الحقيقيَّة والمدَّعاة، بين من يعظِّم رسول الله بالقيام بأمره والانتهاء عن نهيه، ومن يدَّعي تعظيم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرتكب ما نهى عنه.**

فأشدُّ المؤمنين حبًّا واتِّباعا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقلُّهم غُلُوًّا فيه، ولا سيما أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن تبعهم، وأضعفُهم إيمانًا وأقلُّهم اتِّباعا له هم أشدُّهم غلوًّا في القول، وابتداعًا في العمل، وترى ذلك في كلام وأشعار الفريقين.

إنَّ العدوَّ الحقيقي للأنبياء والصالحين هو من خالفهم في القول والعمل، وفعل ما يغضبهم ويؤذيهم.

وفعلُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الأكمل والأقرب في القبول، والأعظم في الأجر والثواب، ومخالفةُ فعلِه مردودةٌ على صاحبها، غير مقبولة عند الله عَزَّ وَجَلَّ.

***

▫ **هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الدفن:**

• عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: فِي مَرَضِهِ الَّذِي هَلَكَ فِيهِ: «الْحَدُوا لِي لَحْدًا، وَانْصِبُوا عَلَيَّ اللَّبِنَ نَصْبًا، كَمَا صُنِعَ بِرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

واللحد: هو أن يحفر في اتجاه القبلة من أسفل القبر لعمل مكان للميت.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ وَفِي الشَّقِّ جَائِزَانِ لَكِنْ إِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ صُلْبَةً لَا يَنْهَارُ تُرَابُهَا فَاللَّحْدُ أَفْضَلُ لِمَا سَبَقَ مِنْ الْأَدِلَّةِ وَإِنْ كَانَتْ رِخْوَةً تَنْهَارُ فَالشَّقُّ أَفْضَلُ »(٢).

والتراب الذي يخرج من القبر يعود إليه بعد الحفر، ويوضع فوقه فيرتفع القبر مقدار شبر أو نحوه، ولا يُسَوَّىٰ بالأرض ليتميز القبر ويُصان، ويُجْعَلُ فوق القبر سنامٌ كما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

• ويستحبُّ توسيع القبر وتعميقه، وإذا كانوا أكثر من واحد يُقَدَّم أكثرهم قرآنًا... هذا هو هَدْيُ الإسلام في الدَّفْن.

• **قال ابنُ القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: « **فصل فِي هَدْيِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الْجَنَائِزِ ...** »: « **كَانَ هَدْيُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فِي الْجَنَائِزِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ**

---

(١) أخرجه مسلم : ك: الجنائز، ب: في اللحد ونصب اللبن على الميت، ح (٩٦٦).
(٢) المجموع شرح المهذب، للنووي (٥/ ٢٨٧).

مُخَالِفًا لِهَدْيِ سَائِرِ الْأُمَمِ، مُشْتَمِلًا عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْمَيِّتِ وَمُعَامَلَتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي قَبْرِهِ وَيَوْمَ مَعَادِهِ، وَعَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَعَلَى إِقَامَةِ عُبُودِيَّة الْحَيِّ للهَِّ وَحْدَه فِيمَا يُعَامِلُ بِهِ الْمَيِّتَ. وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ فِي الْجَنَائِزِ إِقَامَةُ الْعُبُودِيَّة لِلرَّبِّ تبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْمَيِّتِ، وَتَجْهِيزُهُ إِلَى اللهَِّ عَلَى أَحْسَنِ أَحْوَالِهِ وَأَفْضَلِهَا، وَوُقُوفُهُ وَوُقُوفُ أَصْحَابِهِ صُفُوفًا يَحْمَدُونَ اللهََّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَيَسْأَلُونَ لَهُ الْمَغْفِرَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالتَّجَاوُزَ عَنْهُ، ثُمَّ الْمَشْيُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى أَنْ يُودِعُوهُ حُفْرَتَهُ، ثُمَّ يَقُومُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى قَبْرِهِ سَائِلِينَ لَهُ التَّثْبِيتَ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يَتَعَاهَدُهُ بِالزِّيَارَةِ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، وَالدُّعَاءِ لَهُ كَمَا يَتَعَاهَدُ الْحَيُّ صَاحِبَهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا »(١).

• ومن السُّنَّةِ الدَّفْنُ في مقبرة عامة، إلا الشهداءَ، فإنهم يُدفَنون مكان المعركة، ولذلك فوائد منها:

١ـ أن الميت تشمله دعوة المسلمين عند زيارتهم للمقابر.

٢ـ أن ذلك أقل ضررًا وكلفة على الأحياء.

٣ـ أنها أشبه بمساكن الآخرة.

٤ـ أن فيها حفظًا لعقيدة العَوامِّ من اعتقاد أن المدفون خارج المقبرة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٧٩).

له مكانة خاصة.

٥- أن فيها حفظًا من خطوات الشيطان في تزيين سوء العمل والشِّرْك.

أما الدَّفْنُ خارج المقبرة العامة فهو مخصَّص للشهداء في سبيل الله، والدفن مكان الموت، أو في البيوت خاصٌّ بالرسل والأنبياء، فيتم دفنهم مكان موتهم.

ودفن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في بيته في حجرة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا صيانة له، وحتى لا يُتَّخذ قبرُه عيدًا يُعبد من بعده، فكان ذلك سدًّا للذرائع، وحتى لا يُبنَى عليه مسجد فيما بعد.

والقبر يكون للعبد على حسَب ما في القلب من إيمان، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾ [العاديات]. فكلما كان الإيمان في القلب أعظم كان صاحبه في القبر أكثر سرورًا ونعيمًا.

• ولقد نهى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن البناء على القبور سواء كان مشهدًا أو قبَّة أو مسجدًا أو ضريحًا أو مقامًا، ونهى أن يجصَّص القبرُ، أو يقعد عليه، أو يزاد عليه، أو يصلى إليه.

كما نهَى صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن الحالقة: التي تحلق شعرها عند المصيبة، والصالقة: التي ترفع صوتها عند المصيبة، والشاقَّة: التي تشقُّ ثيابها

عند المصيبة.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

والأُمَّة الإسلاميَّة بهذا النص تنفرد بشرعيَّة خالصة ومتميزة عن غيرها، ويجب أن تكون هكذا.

ومما يورثه التَّشَبُّه بهم: محبتُهم، والولاء لهم، والانتساب إليهم لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { مَنْ تَشَبَّهَ بقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ }(١).

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة].

• عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ مَرِضَ رَسُولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تَذَاكَرَ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةَ وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَدْ أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرْنَ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرِهَا قَالَتْ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: { إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا

---

(١) سبق تخريجه.

كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ }(١).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين وتصوير صورهم فيها كما يفعل النصارى»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **كأنه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى، فلعن اليهود والنصارى، إشارة إلى ذمِّ من يفعل فعلهم** »(٣).

كما أن البناء على القبور ضَرْبٌ من الإسراف والسَّفَهِ وإضاعة المال، وقد نهانا الله تعالى عن ذلك: ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا** ﴾ [النساء:٥].

• قال الكاساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكره أبو حنيفة البناء على القبر... ولأن ذلك من باب الزينة ولا حاجةَ بالميت إليها، ولأنه تضييع المال بلا فائدة فكان مكروهًا »(٤).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلاة، ب: هل تنبش قبور مشركي الجهالية ويتخذ مكانها مساجد، ح (٤٢٧)، ومسلم : ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، ح (٥٢٨)، واللفظ للبيهقي في السنن الكبرى، ح (٧٢٢٠).

(٢) انظر: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد (ص: ١٤).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٥٣٢).

(٤) بدائع الصنائع، للكاساني (١/ ٣٢٠).

يقول الأستاذ **عبد الرحمن الوكيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومساجدُ الأَضرحة درجات عند وزارة الأوقاف تعلو درجتها بعُلُوِّ صِيت صاحب الضريح في قلوب عبَّاد قبره، كمسجد قبر البدوي، فيختار له أكابر الأحبار شيوخًا وأئمة وخطباء ومؤذنين وقرَّاء، ولهذا تعظم المساجد في قلوب الناس تبعًا لما يعظم به قبره في قلوبهم!!

وترعىٰ الوزارة مساجد القبور وتُعنىٰ بها أبرَّ عنايَة، فسقفها موشاة بالفن الوثني، وعمدها من الرخام الإيطالي الشهير، ومقاصير قبورها تصنع في «برمنجهام»، وفرشها من البسط الأعجميَّة الوثيرة، وثرياتها (النجف) من مصقول البلور الرائع، حتىٰ ليثير المسجد في أخيلة قصَّاد قبره ما صوَّره التاريخ من تهاويل لإيوان كسرىٰ وبساطه، ويُبهِر منهم النفوس والقلوب، ويتبدَّد منهم الأحاسيس والمشاعر، حتىٰ لينسيَهم بركات الميت الذي جاؤوا يقيمون الصلاة من أجله!! ترىٰ ماذا يقول إنجليزي من «برمنجهام» أو إيطالي يقبل من «روما» حين يريان المسلمين يلثمون في ذلِّ الضَّراعة ما صنعته أيديهم، جُودٌ علىٰ الأصنام وبُخلٌ علىٰ الأيتام، أترىٰ هذه القبور المَشيدة كالقصور المتلألِئة بالنور، الفيَّاضة بالعطور تُثير في النفس مشاعر العِظَة والعِبْرَة؟!

أم تراها تُثير في نفس الفقير الحسرة الأسيفة الكئيبة على دنياه؟! أتذكر هذه القباب بالآخرة، وفيها تتبرج الدنيا بترفها الفاتن المفتون؟!

هنا تحت وَهَج النور وشَعْشَعَة البخور، وتبرُّج الدنيا بالفنون، تعيش هذه الأجساد الهامدة في القبور، ويا عجبًا لجسد بالٍ تضرَّع بالعبادة إليه هذه القلوب!! جماجيم سلط عليها البلى دودة الظالم المهموم، ولكن يأبى الناس إلا حشد تلك الأفواه، وهذه الجماجم بالفضة والذهب، في حين يرجمون نفوس اليتامى الأحياء باللعنة والغضب، فأي دين الله يا عُبَّادَ القبور وأحلاف الموتى والعدم»(١).

***

• ومما لا شكَّ فيه أن بناء القباب والمشاهد على القبور من إحياء سنن الجاهليَّة والوثنيَّة، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاَثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ** }(٢).

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وأما تعلية البناء الكثير (يعني على القبر وهو ما زاد عن الشِّبْر) على نحو ما كانت الجاهليَّة تفعله تفخيمًا

(١) دعوة الحق، عبد الرحمن الوكيل، ص (٧٧)، (١٨٩-١٩٠).
(٢) أخرجه البخاري، ك: الديات، ب: من طلب دم امرئ بغير حق، ح (٦٨٨٢).

وتعظيمًا فذلك يُهدَم ويُزال، فإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منازل الآخرة، وتشبُّهًا بمن كان يعظِّم القبور ويعبدها »[١].

ولا شكَّ أن ذلك ذريعة إلى الشِّرْك والابتداع في دين الله تعالى، وقد صارت هذه البدعة وسيلة لضلال كثير من الناس لاسيما العوام والمترفين وأصحاب الحرص على المال والشرف، ولا يزال الشيطان يرفع من مرتبة المقبور من رتبة إلى رتبة حتى يناديه مع الله عَزَّوَجَلَّ، ويطلب منه ما لا يطلب إلا من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقدر عليه أحد سواه، فيقع في الشِّرْك[٢].

• والواقع يشهد لصحة ما جاءت به الشريعة الإسلاميَّة الكاملة بالمنع منه والتحذير عنه، ولعن فعله لكونه من وسائل الشِّرْك والغلو في الأنبياء والصالحين، والواقع شاهد بصحة ما جاءت به الشريعة، ودليل على أنها من عند الله عَزَّوَجَلَّ، تعالى عن الشريك والنظير والندِّ والولد، ودليل قاطع على صدق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما جاء به عن الله وبلَّغه الأُمَّة.

• والبناء على القبور من الزينة والخُيَلاء التي لا تتناسب مع هَيْبة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) (١٠/ ٣٨١).

(٢) السيل الجرار، الشوكاني (١/ ٢٢٤).

القبور، وهو مخالف لعمل سلَف الأُمَّة مع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، والله تعالىٰ قال: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء].

ورحم الله من قال:

العِلـمُ قـالَ اللـهُ قـالَ رَسُـولُـهُ قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ بالتَّمْوِيهِ

مَا العِلمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةَ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ

● ويكفي أن قبور المهاجرين والأنصار كانت علىٰ هيئتها وما زالت.

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **وَلَمْ أَرَ قُبُورَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مُجَصَّصَةً ... وَقَدْ رَأَيْت مِنْ الْوُلَاةِ مَنْ يَهْدِمَ بِمَكَّةَ مَا يُبْنَى فِيهَا فَلَمْ أَرَ الْفُقَهَاءَ يَعِيبُونَ ذَلِكَ** » (١).

● وبناء المَشاهد والقِباب والمساجد علىٰ القبور تساعد علىٰ انتشار الشِّرْك والبدع، وفي هذا أذىٰ للميت بلا شكٍّ.

قال ابن مُفلِح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **ويتأذَّى الميتُ بالمنكرِ عندَه** ».

ولا شكَّ أن أهل القبور من الأنبياء والصالحين يكرهون ما يفعل

---

(١) الأم، للإمام الشافعي (١/ ٣١٦).

عندهم مما نهى عنه الشرع، كما يكره المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ما تفعله النصارى بسببه، كما أن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكره ما تفعله الرافضة والصوفية بسببه.

والقلوب إذا اشتغلت بالبدع أعرضت عن السنن، فتجد أكثر هؤلاء العاكفين على القبور المعظمين لها معرضين عن سنة المقبور، مشتغلين بقبره عما أمر به، ودعا إليه، وإكرام الأنبياء والصالحين إنما هو اتِّباع ما أُمِروا به ودعَوا الناس إليه من العمل الصالح، ليكثر أجرهم بكثرة أجور من اتَّبعهم.

***

◘ **وبناء المساجد على القبور** يحتوي على محاذيرَ، منها:

١ـ أنه يدخل فيه لعنة الله ورسوله، كما في الحديث: { **لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ** }، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يُحَذِّرُ مثل ما صنعوا [١].

٢ـ أنه شرعٌ لم يأذن به الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾[الشورى:٢١].

(١) أخرجه البخاري: ك: الصلاة، ب: الصلاة في البيعة، ح (٤٣٥)، ومسلم: ك: المساجد ومواضع الصلاة، ب: النهي عن بناء المساجد على القبور، ح (٥٣١).

٣ـ أنه يتنافىٰ مع كون المساجد خالصةً لله تعالىٰ وَحْدَه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [الجن]. فالإشراك في المساجد أقبح وأسوأ.

٤ـ فيه إماتةٌ للسُّنَن وإحياء للبدع، ووكرٌ للمُشعوِذين والمخرِّفين، ومقَرٌّ للخرافات والأوهام والخزعبلات، وخاصة بدع الموالد والنُّذُر والطواف والدعاء وشدِّ الرحال وقصدها في الحاجات.

٥ـ أنه من الكبائر فقد ذكرها ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الكبائر: (الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعين): وهي: اتِّخاذ القبور مساجد، وإيقاد السُّرُج عليها، واتخاذها أوثانًا، والطَّواف بها واستلامها، والصلاة إليها [(١)].

٦ـ فيه إضاعة المال، سواء في البناء أم في النذور.

٧ـ فيه التَّشَبُّه باليهود والنصارىٰ.

٨ـ قد يعتقد بعضهم تفضيلها علىٰ المساجد الثلاثة التي هي أحب البقاع إلىٰ الله تعالىٰ.

٩ـ فيه اختلاط الرجال بالنساء، والبكاء والزغاريد عندها، وارتكاب محرَّمات أخرىٰ.

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٤٤).

١٠- المشابهة بعبادة الأصنام في الجاهليَّة، قالوا: ﴿ **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ** ﴾.

***

• وليس الأمر كما يقول أصحاب الأهواء، الذين يَلْوُون النصوص عن مرادها، فيُجيزون البناء على القبور بحُجَّة احترام الصالحين ومحبَّتِهم، وهم يتجاهلون أن مَحَبَّة الصالحين واحترامهم مقيَّدة بالشرع الذي حَرَّمَ الغلوَّ فيهم، وقد دل الشرع أن فعل محبِّي الميت مما ينكره الشرع: يَضره ولا ينفعُه، كما في الحديث الصحيح: { **المَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ عَلَيْهِ** }[1].

واحترامها في حدود الشرع وما أوجبه من عدم جواز البول أو التغوُّط أو الجلوس أو الوَطء عليها، أما تعظيمُها بمعنى عبادتها فهو من أكبر الكبائر. حتى تظليلها إن استحسَنَه الناس، فيصدق فيه قول ابنِ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كلُّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ وإنْ رَآها النَّاسُ حَسَنَةً»[2]، فإن البناء عليها أو تظليلها أدَّى إلى كثرة التردُّد عليها، والاختلاط عندها، الطعام والشراب واللَّغط في القول، وشرب القهوة والشاي

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الجنائز، ب: ما يُكرَهُ من النياحة على الميت، ح (١٢٩٢).
(٢) أحكام الجنائز، ص (٢٠٠).

والدخان والشِّيشة، وتحرِّي البركة والدعاء عندها، وغير ذلك.

• واستدلال القبوريين بقصة الحسن بن الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنه لما مات ضربت امرأته القُبَّة على قبره سنَة، فهذا الأثر أورده البخاري معلَّقًا في باب: ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور، ثم هذا الأثر من روايَة المغيرة بن مقسم، وهو كان أعمى ويدلِّس فلا يصح خبره، ولا حُجَّة أيضًا في هذا العمل لمخالفة هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يلتزم صِحَّة المعلَّقات كلها في كتابه، فهي خارجة عن مقصود كتابه المسمَّى: «الصحيح المسند من أحاديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنَنه وأيامه».

وأراد البخاري به كراهية اتخاذ البناء على القبر، وقد أورد في الصحيح ما يخالف هذا الأثر ويبطل الاستدلال به.

***

▫ شبهة قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجده، والرد عليها:

وقد يحتجُّ هؤلاء بوجود قبرِ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجده! فنقول لهم وبالله التوفيق:

١ـ إن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لم يدفنوا النبيَّ في مسجده، بل دفنوه في الحجرة التي مات فيها، وكانت خارج المسجد، والأنبياء يُدفَنون حيث ماتوا.

٢ـ لقد ظلَّ مسجد النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما هو في خير القرون التي وصفها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: { **خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** }(١)، وهي قرن الصحابة، وقرن التابعين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ومن بعدهم، دون إدخال للحجرة النبويَّة في المسجد، ثم حدث فيما بعد - كما سيأتي - فلم يكن دخول القبر في مسجده صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صنيع أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولا من صنيع التابعين لهم بإحسان؛ لذلك لا يجوز الاحتجاج به.

٣ـ أنَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يُتَّخَذَ قبرُه أو قبر غيره مسجدًا، ووقع ما حذر منه، كما وقع في الأُمَّة ما حذر منه من استحلال الربا والزنا والمعازف وظهور النساء الكاسيات العاريات والحكام الظلمة

---

(١) سبق تخريجه.

وغير ذلك مما نهى عنه ووقع.

٤ـ أنَّ ما ثبت للمسجد النبويِّ من فضائل ـ من جواز شدِّ الرِّحال إليه، وتضعيف ثواب الصلاة فيه ـ كان قبل دخول الحجرة النبويَّة التي دفن فيها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى المسجد.

٥ـ أنَّ دخول الحجرة في المسجد تم في عهد الخليفة الأموي الوليد ابن عبد الملك، أي بعد وفاة النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعشرات السنين، ثم تم بناء القبة عليها سُنَّة ٦٧٨هـ في عهد الملك قلاوون المعروف بالملك المنصور.

٦ـ أنَّهم لم يقصدوا دخول الحجرة في مسجده، إنما أرادوا توسعة المسجد، فدخلت الحجرة فيه ضرورة.

٧ـ أنَّ الحجرة لما أدخلت إلى المسجد سُدَّ بابُها وبني عليها حائط آخر، صيانة له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يُتَّخَذ بيتُه عيدًا أو قبرُه وثنًا.

٨- أنه لما انتبه القائمون على الأمر في العصور الأخيرة إلى خطورة إدخال قبره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في المسجد، قاموا ببناء حجرة فارغة عليه، فصارت حجرة القبر تحت المسجد، ثم منعوا الطواف حولها، والتمسُّح بها، واتخذوا بعض الإجراءات التي تخفِّف من حِدَّة البدع والشِّركيَّات في مسجده صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

٩ـ أن الواجب ـ لو أمكن ـ الرجوع بالمسجد النبوي إلىٰ سابق عهده، سدًّا للذرائع، وذلك بالفصل بين المسجد النبوي والقبر الشريف.

* * *

وقد يَستدِلُّ هؤلاء المبتدعةُ بما رواه الطبراني بلفظ: «في مَسْجِدِ الخِيفِ قَبْرُ سَبعينَ نبيًّا»، والحديث بهذه الروايَة ضعيف ومنكر لوجود الأهوازي وهو مجهول، وفي إسناده ابن عمار الموصلي ضعيف الحديث مضطرب، وعيسىٰ بن شاذان ممن يروي الغرائب.

والحديث الصحيح: { **صَلَّى في مَسجِدِ الخِيفِ سَبعونَ نبيًّا** }، رُوِي عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٨) بإسناد رجاله ثقات... فانظر إلىٰ التحريف في النص.

ولو فرضنا ما قالوا وما حرَّفوا نقول: إنها قبور مُندَسة تحت الأرض، وليست بارزة، ولا يعرفها أحد، والعِبرة في الشريعة بالقبور الظاهرة، لأن الأرض كلها مقبرة للأحياء، كما قال تعالىٰ: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾**﴾ [المرسلات].

قال الشعبي: « بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم ».

• والقبر إذا لم يكن ظاهرًا معروفًا مكانه فلا يترتب من وراء ذلك مفسدة ظاهرة كما هو مُشاهَد، حيث ترىٰ الشِّرْكيات إنما تقع عند

القبور المشرِفة، حتىٰ ولو كانت مزوَّرة لا عند القبور المندرِسة ولو كانت حقيقيَّة.

• وقد يحتج المبتدعة بقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورىٰ:٢٣]، وليست المودة متوقِّفة علىٰ بناء القباب والمشاهد علىٰ قبورهم، والتقرب إليهم بالمعاصي والشِّرْكيات.

إنما المودَّة: الحبُّ وحفظ وصيتهم، ورعاية حقوقهم من الخمس والفيء، والصلاة عليهم مع الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ: اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، وأن نُقِرَّ بفضلهم، والمودَّة لأهل البيت إن حُمِلت علىٰ متابعة النبيِّ ﷺ وامتثال أمره، والكف عن نهيه فهي مودَّة حقيقيَّة، وإن حملت علىٰ مخالفة أمره وارتكاب نهيه فهي دعوىٰ فارغة لا أساس لها، ولا بُرهان عليها، بل هي غلوٌّ منهيٌّ عنه لا يُرضي اللهَ ولا رسولَه.

***

شبهة أصحاب الكهف والرد عليها:

وقد يَحتجُّ البعض بما ورد في قصة أصحاب الكهف، من قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

والذين قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وهو من فعل أهل الغَلَبة، وذلك يُشعر بأن مستنده القهر واتِّباع الهوىٰ، وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل الذين قالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ والغالب أن الغلَبة تكون سببًا للمَعصِيَة، والغلَبة في الأمم السابقة إنما تكون للضالين والمكذبين.

فوصف هؤلاء بالغلَبة مع وصف مقابلهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ يشعر أنهم ذوو جهل وغُلُوٍّ، وهذا قول ابن كثير في تفسيره، والألوسي في روح المعاني، وابن رجب وغيرهم.

ويتضح أن كل من يستدل بآيَة الكهف أنه صاحب هوىٰ وبدعة يبحث في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ دليل يُؤَوِّلُه ويغيِّر معناه ليستدل به علىٰ بدعته، ويخالف النصوص المتواترة، وأين هو من قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

• قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **وَهُوَ شَأْنُ مَنْ يَأْخُذُ الْأَدِلَّةَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِبَارَةِ الشَّرْعِيَّة وَلَا يَنْظُرُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، فَيُوشِكُ أَنْ يَزِلَّ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِ الرَّاسِخِينَ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ شَأْنِ مَنِ اسْتَعْجَلَ؛ طَلَبًا لِلْمَخْرَجِ فِي دَعْوَاهُ** »(١).

وهذا التأويل الباطل لأهل الأهواء، فلابد من جمع باقي النصوص وفهمها من قوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨** ﴾ [الجن]، ومن نهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصحيحة عن اتخاذ القبور مساجد.

• **ولو كان في بناء المساجد على القبور مَنقبة وكمال ودين لفعله النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مع أحب الناس إليه زوجه خديجة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **وبناته وعمه حمزة** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ **وغيرهم، ولما دُفِن هؤلاء بالبقيع، ولفعلَه أصحابه من بعده معه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وهو أحب إليهم من كل شيء.**

• ثم ليس في الاستدلال بآية الكهف دليل على أنهم فعلوا ذلك، بل أخبر سبحانه أنهم اختلفوا فقط، ولم يتم البناء.

• واتخاذ القبور مساجد يعني البناء عليها وحولها، واتخاذها مكانًا للصلاة، فهو بلا شكٍّ لن يصلي داخل القبر أو عليه مباشرة، فالنهي

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٨٥).

عن البناء على القبور هو نهيٌ عما بُنِي على جوانب القبر (كما في القباب والمساجد والمشاهد الكثيرة) على وجه يكون القبر في وسطها، أو في جانب منها، فإن هذا بناء على القبر.

وكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: { **اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ** }(١)، فهل المعنى وقف فوق القبر أو بجوار القبر؟.

فتارة «على» تكون للمصاحبة كقوله تعالى: ﴿ **وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ** ﴾ وتارة تكون للتعليل، كقوله تعالى: ﴿ **وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ** ﴾، وتارة تكون للمجاورة، وتارة تكون بمعنى في أو عند.

ثم ادعاء البناء على القبور لينتفع بزيارة أهلها والاستراحة عندها بالجلوس إليها، كل ذلك ينافي المقصِد الشرعي من زيارة الميت، فالزيارة الشرعيَّة لا ارتباط بينها وبين البناء على القبور، بل إن البناء قد جرَّ مفاسد كثيرة سبق ذكرها وعلى رأسها اتخاذ القبر عيدًا، وعمل مَوْلِد عنده، بل بعضها صار مسكنًا ومأوًى. ثم إن الجلوس عند القبر واتخاذه استراحة مَدعاة لفعل البدع وسماع الغناء وتناول الأطعمة، وهذا مخالِف لهدي المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والسلف الصالح.

---

(١) أخرجه أبو داود: ك: الجنائز، ب: الاستغفار عند القبر في وقت الانصراف، ح (٣٢٢١)، وصحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٧٦٠).

▫ صور اتخاذ القبور مساجد:

الصورة الأولى: الصلاةُ على القبور بمعنى السُّجود عليها، أي الصلاة ذات الركوع والسجود، فلا خلاف بحرمتها وعدم جوازها، باستثناء صلاة الجنائز التي لا ركوع فيها ولا سجود، بل هي دعاء، ففي الحديث قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا }**(١).

الصورة الثانية: السجودُ إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء: وهذا أيضًا محرَّم ومنهي عنه، قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح حديث: **{لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ}**: « أي اتخذوها جهة قبلتهم مع اعتقادهم الباطل...، قال القاضي: لما كانت اليهود يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة ويتوجهون في الصلاة نحوها فاتخذوها أوثانا «لعنهم الله»، ومنع المسلمين عن مثل ذلك، ونهاهم عنه »(٢).

الصورة الثالثة: بناءُ المساجد عليها وقصد الصلاة فيها تبركًا بالمدفون فيها: واتخاذ القبر مسجدًا يعني النهي عن بناء المساجد على القبور،

---

(١) أخرجه مسلم: ك: الجنائز، ب: النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه، (٩٧٢).
(٢) فيض القدير (٤/ ٤٦٦).

ومَفادُ الأحاديث منعُ اتخاذ القبر مسجدًا أو اتخاذ المسجد على القبر.

• واتخاذ المكان مسجدًا هو أن يُتَّخذ للصلوات الخمس، والمكان المتَّخذ مسجدًا إنما يُقْصَد فيه عبادة الله ودعاؤه لا دعاء المخلوقين، فَحَرَّمَ الإسلام أن تتخذ قبورهم مساجد ذريعة أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه والدعاء به والدعاء عنده والتوسل به، فنهى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وَحْدَه لئلا يتخذ ذريعة إلى الشِّرْك بالله، كنهيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصلاة أوقات الكراهة الثلاثة [بعد الفجر حتى الشروق، وقت الاستواء في الظهيرة، وحين تغرب الشمس] لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التَّشَبُّه بالمشركين الذي يفضي إلى الشِّرْك.

***

◘ ومن مظاهر تعظيم القبور في المساجد والمشاهد عليها:

• استغاثة بعض العوام بهم، وحلفهم بهم.

• تعظيم المقبورين أكثر من تعظيمهم لله عَزَّوَجَلَّ.

• اعتقادهم أن الولي أسرع استجابة من الله عَزَّوَجَلَّ.

• الركوع والخشوع عند الأضرحة، والطواف حولها واستقبالها، ودعاؤهم لها من دون الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد تشتد هذه المظاهر قَرُبَ يوم القيامة، كما أخبر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ}**(١)،

وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهليَّة بتبالة وهي موضع باليمن، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضًا: **{ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ }**(٢).

لذلك وجَب على المسلمين أن يبتعدوا عن كل الوسائل والأسباب التي تؤدِّي بأحدهم إلى الوقوع في الشِّرْك، مثل ما نحن فيه من بناء المساجد على القبور، ونحو ذلك.

ولحوق قبائل من الأُمَّة المسلمة بالمشركين آخر الزمان يكون: إما بالتَّشَبُّه بهم، وإما بالشِّرْك الذي وقعوا فيه، أو محبتهم وموالاتهم وتفضيلهم على أهل الإسلام. وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ }**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: الفتن، ب: تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان، ح (٧١١٦)، ومسلم: ك: الفتن وأشراط الساعة، ب: لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، ح (٢٩٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود: ك: الفتن والملاحم، ب: ذكر الفتن ودلائلها، ح (٤٢٥٢)، والترمذي، ح (٢٢١٩)، وقال حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري: ك: الجمعة: ب: فضل ما بين القبر والمنبر، ح (١١٩٥)، ومسلم: ك: الحج، ب: ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، ح (١٣٩٠).

ولفظ بيتي هو الصحيح، ورواية: { **مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي...**} رُوِيَتْ بالمعنى، فالثابت الصحيح: { **مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي...**} أما اللفظ المشهور على الالسُّنَّة «قبري» فهو خطأ من بعض الرواة كما جزم بذلك القرطبي وابن تيميَّة والعسقلاني، ولذلك لم يخرج في شيء من الصحاح، ووروده في بعض الروايات لا يصيره صحيحًا لأنه روايَة بالمعنى.

• وقال الله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٩٠﴾ ﴾ [المائدة]، والأنصاب جمع نُصُب، وهو كل ما نصبه الشيطان للناس وغر الناس به لعبادة غير الله تعالى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومن الأنصاب ما قد نصبه الشيطان للمشركين من شجرة أو عمود أو وثن أو خشبة أو غير ذلك، والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره**»(١).

• ولقد هدم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجد الضِّرار الذي كان يتخذ قاعدة لأهل النفاق، أفلا يكون أولى بالهدم من مسجد ضرار هذه القباب والأضْرِحَة المقامة على القبور وهي مدعاة للشرك؟! **والشِّرْك أعظم فسادًا من النفاق.**

---

(١) راجع إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان (١/ ٢٠٩).

• وليس من هَديِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أكمل الهدي وأتمُّه - تعلية القبور، ولا بناؤها ولا تشييدها، ولا بناء القباب عليها فكل هذه بدعة مكروهة مخالفه لهديه وسنَّته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « **يُهْدَمُ الْمَسْجِدُ إِذَا بُنِيَ عَلَى قَبْرٍ، كَمَا يُنْبَشُ الْمَيِّتُ إِذَا دُفِنَ فِي الْمَسْجِدِ، نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، فَلَا يَجْتَمِعُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَسْجِدٌ وَقَبْرٌ، بَلْ أَيُّهُمَا طَرَأَ عَلَى الْآخَرِ مَنَعَ مِنْهُ، وَكَانَ الْحُكْمُ لِلسَّابِقِ، فَلَوْ وُضِعَا مَعًا لَمْ يَجُزْ** »(١).

• وذكر الحافظ ابن كثير في حوادث عام ٢٣٦هـ: « فِيهَا أَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ بِهَدْمِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْمَنَازِلِ والدور، ونودي في النَّاس من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إِلَى الْمُطْبِقِ (السجن)»(٢).

وهذه الحادثة وغيرها تدل على مدى حِرْص الأمراء على حمايَة التوحيد، والقيام في نصرة السُّنَّة والدِّين، وقمع المبتدعين، وعدم السكوت على باطلهم وبدعهم.

• والمسلم إذا قصد الصلاة عند بعض قبور الأنبياء والصالحين

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٥٠١).

(٢) البدايَة والنهايَة، لابن كثير (١٠/ ٣٤٧).

متبرِّكًا بالصلاة في تلك البقعة فهذا عين المحادَّة لله ورسوله، والمخالفة لدينه، وابتداع دين لم يأذن به الله، فإن المسلمين أجمعوا على أن الصلاة عند القبر (أي قبر) لا فضلَ فيها لذلك، ولا مزيَّة خير فيها أصلًا، بل مزيَّة شَرٍّ (١).

قال الحافظ العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **فلو بنى مسجدًا يقصِد أن يُدفَن في بعضه دخل في اللَّعنة، بل يحرم الدَّفن في المسجد، وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفة وقفه مسجدًا** »(٢).

ولم يَقُل أحد من المسلمين إن الصلاة عند المساجد التي بها قبور والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية، بل اتفق علماء المسلمين على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تُبْنَ على القبور أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بُنيت على القبور، ولم يختلف على ذلك أحد، فالخلاف في المساجد التي بُنيت على القبور والصلاة والدعاء فيها مختلف فيه بين الكراهية والتحريم، فالأسلم لدين المسلم أن يتحرَّى المساجد التي ليس عليها خلاف، وليس بها قبور.

***

---

(١) راجع اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٣) وما بعدها.
(٢) نقله المناوي في فيض القدير (٥/ ٢٧٤).

◘ دفن الموتى في المساجد محرم، وإليك الدلائل على ذلك:

١ـ أَنَّه بِدعة: لم يأذن الله به، ولم يأذن فيه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهو اتِّباع لغير سبيل المؤمنين.

٢ـ وهو سُنَّة سيِّئة على من فعلها، وعليه وِزرُها وَوِزْرُ من عمل بها إلى قيام الساعة.

٣ـ فيه مُشابهة لليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

٤ـ أنه وسيلة إلى تعظيم القبور من دون الله تعالى، وسدُّ الذرائع إلى المحرَّمات مطلوب شرعًا.

٥ـ الصلاة في هذه المساجد يدور حكمها بين الكراهية والتحريم.

● ولقد أفتى الشيخ عبد الحميد رَحِمَهُٱللَّهُ مفتي الديار المصريَّة سابقًا في فتوى: الرقم بدار الإفتاء: (٣١٧١)، الموضوع (٣١٩) (الدفن في المسجد غير جائز).

قال رَحِمَهُٱللَّهُ: « اطلعنا على كتاب: الوزارة رقم: (٢٧٢٣) المؤرَّخ في: (٢١/ ٣/ ١٩٤٠م)، المطلوب به: بيان الحكم الشرعي فيما طلبه رئيس خدم مسجد عزِّ الدِّين أيبك من دفنه في أحد القبرين اللذين بهذا المسجد. **ونفيد أنه أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت: لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره، فإن**

المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر».

وقال فى فتوى أخرى: « إنه لا يجوز دفن ميت فى مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدًا.. إلخ، وذلك لأن فى الدفن فى المسجد إخراجًا لجزء من المسجد عما جعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر وتدريس العلم وذلك غير جائز شرعًا، ولأن اتخاذ قبر فى المسجد على هذا الوجه الوارد فى السؤال يؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده، وقد وردت أحاديث كثيرة دالَّةٌ على حَظْر ذلك ».

• قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه **(اقتضاء الصراط المستقيم)** ص (١٥٨) ما نصه: « أن النصوص عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقًا، واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها ».

ومن الأحاديث ما رواه مسلم عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ، وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا}.

وقال ابن القيم: نص الإمام أحمد وغيره على أنه إذا دفن الميت فى المسجد نبش وقال - أي ابن تيمية -: لا يجتمع فى دين الإسلام مسجد وقبر، بل أيهما طرأ على الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق إلى آخر ما قال في كتابه زاد المعاد.

• وقال الإمام النووي في شرح المهذب ص (٣١٦) ما نصه: «اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهورًا بالصلاح أو غيره لعموم الأحاديث.

قال الشافعي والأصحاب: وتكره الصلاة إلى القبور، سواء كان الميت صالحا أو غيره. قال الحافظ أبو موسى قال الإمام الزعفراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يصلي إلى قبر ولا عنده تبركا به ولا إعظاما له للأحاديث وقد نص الحنفيَّة على كراهة صلاة الجنازة فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على جنازة فى المسجد فلا أجر له، وعلل صاحب الهدايَة هذه الكراهة بعلَّتين: إحداهما أن المسجد بني لأداء المكتوبات، يعنى وتوابعها من النوافل والذكر وتدريس العلم.

وإذا كانت صلاة الجنازة فى المسجد مكروهة للعلة المذكورة كراهة تحريم كما هو إحدى الروايتين وهي التي اختارها العلامة قاسم وغيره كان الدفن فى المسجد أولى بالحظر لأن الدفن فى المسجد فيه إخراج الجزء المدفون فيه عما جعل له المسجد من صلاة المكتوبات وتوابعها. وهذا مما لا شك فى عدم جوازه شرعًا. وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال متى كان الحال كما ذكر » انتهت فتوى الشيخ عبد المجيد سليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

***

▫ متى ظهرت بدعة الدفن في المساجد في الأُمَّة؟

واعلم أنَّ السُّنَّة في دفن موتى المسلمين أن يكون في المقابر العامة إلا ما اقتضت الضرورة والحاجة.

ولقد ظل المسلمون على سُنَّة الدفن في المقابر العامة لم تتغيَّر إلى أن ظهرت البدع في دولة «بني بُوَيْه» في شمال العراق، ودولة «العُبَيديين» في الشمال الأفريقي، ودولة القرامطة والإسماعيليَّة في اليمن، وكان يغلب على هؤلاء الزَّنْدَقَةُ، والزَّنادِقَة هم الذين كان مقصودهم تبديل دين الإسلام.

وكان أول ظهورهم حين ضعُفت خلافة بني العباس، فتفرَّقت الأُمَّة، وظهرت البدع وكان ذلك في أواخر المئة الثالثة من الهجرة.

وفي ظل دولة «بني بويه» ظهر المشهد المنسوب إلى «علي» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بناحية النجف، و«علي» رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يكن له قبر هناك، حيث دفن بالكوفة في مكان غير معروف خوفًا عليه من الخوارج أن يسرقوا جثته.

• قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ولم أُورِدْ أحدًا من الخلفاء العُبَيديين؛ لأن إمامتهم غير صحيحة، لأمور:

منها: أنَّهم غير قرشيِّين. وإنما سَمَّتهم بالفاطميين جهَلة العوام، وإلا فجدهم مجوسي.. ومنها: أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء، ومنهم من أباح الخمر، ومنهم من أمر بالسجود له، والخَيِّرُ منهم رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة، ولا تصِح لهم إمامة» (١).

وهذا مشهور من شهادة علماء الأُمَّة من: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابلة، وأهل الحديث، وأهل الكلام، وعلماء النَّسَب، والعامَّة وغيرهم.

حتى صنف كثير من العلماء في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، كالقاضي أبي يعلى، وأبي حامد الغزالي، والقاضي الباقلاني وغيرهم.

• ومن مخازيهم وعقائدهم الباطلة:

١ـ محاربة أهل الحديث والسُّنَّة، ومنع روايَة الحديث النبويِّ.

٢ـ ينادون بلعن وسبِّ الصحابة، ويقولون: من لعن وسبَّ فله دينار وأردب.

٣ـ تدريسهم المنطق والطبيعة، ومقالات الفلاسفة بدلًا من التفسير والفقه والحديث.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص (٩ ـ ١٠).

٤ـ انشغالهم بالروحانيَّات من طريق الكواكب والشياطين.

• وظلَّت البلاد المصريَّة ما يقارب مئتي سنة، وقد انطفأ فيها نور الإسلام والإيمان، فقد أماتوا السُّنَّة وأحيَوُا البدعة، وأظهروا الرفض، حتىٰ قيَّض الله تعالىٰ السلطان صلاح الدِّين الأيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقضىٰ علىٰ خلافتهم المزعومة، وعزل آخر خلفائهم العاضد، وكانوا آخر أربعة عشرًا متخلِّفًا لا خليفة.

• وقد ذكر الحافظ ابن كثير عن أحد خلفائهم الحاكم بأمر الله العُبَيديِّ العجائب والفظائع، وذكر أنه: « كَانَ جَبَّارًا عَنِيدًا، وَشَيْطَانًا مَرِيدًا، أخزاه الله،... كانت العامة تبغضه كثيرًا، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه، في صورة قصص، فإذا قرأها ازداد غيظًا وحنقًا عَلَيْهِمْ »[(١)].

وقال أيضًا في أحداث عام ٣٤٧ هـ: « وقد امتلأت البلاد رفضًا وسبًّا للصحابة من بني بويه وبني حمدان والفاطميين... فكثر السَّبُّ والتكفير منهم للصحابة »[(٢)].

• **ومن جرائمهم:** أنهم شنُّوا حربًا نفسيَّة علىٰ أهل السُّنَّة، وذلك

---

(١) البدايَة والنهايَة، لابن كثير (١٢/ ١١ ـ ١٢).

(٢) المصدر السابق (١١/ ٢٦٤).

بتعليق رؤوس الأكباش والحمير على أبواب الحوانيت، وكتبوا عليها أسماء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وطعنوا فيهم، وعملوا على إزالة آثار بعض مَن تقدَّمهم من الخلفاء من أهل السُّنَّة، ومنعوا التجمعات خوفًا من الخروج عليهم، وأتلفوا مؤلَّفات أهل السُّنَّة، ومنعوا الناس من تداولها، وحرَّموا على الفقهاء الفتوى إلا لمن كان على مذهبهم، ومنعوا أهل السُّنَّة من التدريس في المساجد، ونشر العلم، والاجتماع بالطلاب، وأجبروا الناس على الدخول في دعوتهم، فمن أجاب تركوه، وربما ولَّوْه بعض المناصب، وقاموا بتعطيل الشرائع، وأسقطوا الفرائض عمن تبع دعوتهم، وزادوا في الأذان: « حيَّ على خير العمل »، وأسقطوا من أذان الفجر: « الصلاة خير من النوم »، ومنعوا الناس من قيام رمضان، وانتهكوا حرمة المساجد بخيل المهدي، وقالوا: إن أرواثها وأبوابها طاهرة لأنها خيل المهدي.

• **ذكرت ذلك حتى لا يغترَّ بهم أحد من المسلمين، فيفتخر بتاريخهم الأسود، ومن العجب أن ينادي بعض الناس في زماننا بعودة دولة بني عُبَيد مرة أخرى، والقاهرة الفاطميَّة، وللأسف فإن الأجيال المسلمة اليوم لا تقرأ التاريخ الإسلامي من مصادره الموثوقة، إنما يقرؤون تاريخًا مزوَّرًا، فيه أنها دولتهم كانت تُحب العلم ونشره، ولم يعلموا أن المقصود هو نَشْرُ كتب الفلاسفة.**

• يقول د. علي الصلابي: «وهذا كله نتيجة لغياب التفسير العقدي الإسلامي لتاريخنا، بل إن المؤرِّخين الذين كتبوا لنا التاريخ تأثَّروا بمدارس الاستشراق أو بالتفكير الشيعي، أو بُذِلَتْ لهم أموال لطمس الحقائق التي لابد من بيانها للأجيال الصاعدة، لتعرف عدوها من صديقها، ولتعرف أن الأفكار لا تموت، وإنما تتغير الأشكال والوجوه والمسوح، وأن هؤلاء الملاعين من أعداء الإسلام لا يزالون يعملون سرًّا وإعلانًا، ليلًا ونهارًا للقضاء على العقيدة البيضاء الناصعة التي تلقفتها جموع أهل السُّنَّة والجماعة من الحبيب المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الغُرِّ الميامين الطاهرين الطيبين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين» (١).

• ولا ينسى التاريخ ما فعلته الدولة الصَّفَويَّة في إيران أيام الشاه «إسماعيل الصفوي» من بناء المقابر المزعومة وزخرفتها وكسوتها بالحرير، وجعل الحرَّاس والخدم والسَّدَنَة، وترتيب أيام لإقامة الاحتفالات والموالد عندها: كيوم عاشوراء وغيره، ولقد حول هذا الخبيث إيران من دولة سُنِّيَّة إلى دولة شيعيَّة رافضة، وأغار على بغداد، وقام بنبش قبر الإمام أبي حنيفة النعمان، واستخرج عظامه.

ولقد هيأ الله تعالى لاقتلاع جذور هذا الرافضي السلطان سليم

(١) الصراع بين أهل السُّنَّة والرافضة، ص (٧٦).

الأول رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث قام بإسقاط مُلك إسماعيل الصفوي، فهرب خارج البلاد.

ولقد كره الكثير من العلماء الدَّفن في الفساقي (وهي أشبه بالحجرة التي يدفن فيها أهل مصر موتاهم اليوم)، وذكر ابن الحاج رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الدفن في الفساقي بدعة، وذكر على ذلك تسعةَ عشَرَ وجهًا، فكيف بالدَّفن في المساجد والبيوت والميادين العامة ؟!

***

◘ واجب الأُمَّة تجاه هذه البدعة المنكرة:

إن تحذير الأُمَّة من هذه البدع وغيرها واجب باتفاق المسلمين، وإقامة الحجة على إبطالها واجب على العلماء والعامة، والمعيار الحقيقي لمعرفة قيمة الإسلام في قلوب المسلمين هو موقفهم من إنكار المنكر والأمر بالمعروف والتحذير من أهل البدع والإنكار عليهم.

• **قال أبو الوفا ابن عقيل** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **إِذَا أَرَدْت أَنْ تَعْلَمَ مَحَلَّ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الزَّمَانِ فَلَا تَنْظُرْ إلَى زِحَامِهِمْ فِي أَبْوَابِ الْجَوَامِعِ، وَلَا ضَجِيجِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انْظُرْ إلَى مُوَاطَأَتِهِمْ أَعْدَاءَ الشَّرِيعَةِ، عَاشَ ابْنُ الرَّاوَنْدِيِّ وَالْمَعَرِّيُّ عَلَيْهِمَا لَعَائِنُ اللَّهِ يَنْظِمُونَ وَيَنْثِرُونَ، هَذَا يَقُولُ: حَدِيثُ خُرَافَةَ وَالْمَعَرِّيُّ يَقُولُ:**

تَلَوْا بَاطِلًا وَجَلَوْا صَارِمًا ... وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمْ

يَعْنِي بِالْبَاطِلِ كِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعَاشُوا سِنِينَ، وَعُظِّمَتْ قُبُورُهُمْ وَاشْتُرِيَتْ تَصَانِيفُهُمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى بُرُودَةِ الدِّينِ فِي الْقَلْبِ »(١).

وهذا كلام عظيم، فإن من أعظم المصائب السكوت على المنكر، واسترضاء أهل البدع، فهذه من أسباب العقوبات، ومن موجبات سخط الله عَزَّوَجَلَّ.

لا يكفي أن تكون صالحًا، فالله عَزَّوَجَلَّ يهلك القرى وفيها الصالحون، ولكن إذا تعدَّى صلاحك إلى إصلاح غيرك، فإن سُنَّة الله تعالى أنه لا يهلك القرى وأهلها مصلحون.

• وفي حديث السفينة قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهِ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلاَهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ، قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلاَ بُدَّ لِي مِنَ المَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ }**(٢).

---

(١) الآداب الشرعيَّة والمنح المرعيَّة، لابن مفلح (١/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك: الشهادات، ب: القرعة في المشكلات، ح (٢٦٨٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وأيّ دين وأيُّ خير فيمن يرى محارم اللهَّ تُنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس! كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بليَّة الدِّين إلا من هؤلاء الذي إذا سَلِمت لهم مآكلُهم ورياساتُهم فلا مُبالاة بما جرى على الدِّين؟ وخيارهم المتحزِّن المتلمِّظ، ولو نُوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتَبذَّل وجدَّ واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسع. وهؤلاء - مع سقوطهم من عين اللهَّ ومَقْتِ اللهَّ لهم - قد بُلوا في الدنيا بأعظم بليَّة تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه للهَّ ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل »(١).

***

(١) إعلام الموقعين (٢/ ١٢١).

◘ السُّنَّة وفضل اتِّباعها:

• قال الصديق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا، كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ بِهِ إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ »(١).

وقال الخليفة الرابع عليُّ بنُ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « لَمْ أَكُنِ أَدَعُ سُنَّة رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ »(٢).

وعن عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ، خَطَبَ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْ بَعْدَ نَبِيِّكُمْ نَبِيًّا، وَلَمْ يُنْزِلْ بَعْدَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا، فَمَا أَحَلَّ اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا حَرَّمَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِقَاضٍ، وَلَكِنِّي مُنَفِّذٌ، وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ، وَلَكِنِّي مُتَّبِعٌ، وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْكُمْ، غَيْرَ أَنِّي أَثْقَلُكُمْ حِمْلًا، أَلَا وَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ أَنْ يُطَاعَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، أَلَا هَلْ أَسْمَعْتُ؟؟ »(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: ك: فرض الخمس (٣٠٩٣)، ومسلم: ك: الجهاد والسير، ب: قول النبي « لا نورث ماتركناه صدقة »، ح (١٧٥٩).

(٢) أخرجه أحمد (١١٣٩)، وقال المحقق: صحيح لغيره، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٤).

(٣) أخرجه الدرامي: ك: العلم، ب: ما يتلقى من حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٤٧)، وقال المحقق: إسناده جيد.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يُصَلِّي بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ أَكْثَرَ مِنْ رَكْعَتَيْنِ يُكْثِرُ فِيهَا الرُّكُوعَ، وَالسُّجُودَ فَنَهَاهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ يُعَذِّبُنِي اللهُ عَلَى الصَّلَاةِ؟ قَالَ: « لَا وَلَكِنْ يُعَذِّبُكَ عَلَى خِلَافِ السُّنَّة »[١].

فعليك أخي الحبيب بالأمر الأول قبل أن تحدث الفرقة ويَدب الخلاف، واصبر نفسك مع السُّنَّة، واسلك سبيلها فإنها تسع لنجاتك من عَرَصات يوم القيامة.

وذلك لأن البدعة في الدِّين مما تضاهي الشريعة أحبُّ إلى إبليس من المَعصِيَة، لأن المبتدع يتَّخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله، زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا، وأول التوبة العلم بأن الفعل مخالف وسَيِّئ ليتوب منه.

فالبدع هي أقرب للشقاق والنزاع، وإلى الكفر والنفاق.

• قال الإمام البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتى يصير كبيرًا، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأُمَّة، كان أولها صغيرًا يشبه الحق، فاغترَّ بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت دينًا يدان به فخالف الصراط المستقيم، فخرج من الإسلام.

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤١٣١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٧٥٥).

فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة، فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتى تسأل وتنظر هل تكلَّم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحد من العلماء؟، فإن وجدت فيه أثرًا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار.

واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين؛ أما أحدهما: فرجل زلَّ عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدَى بزَلَّته، فإنه هالك، وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌّ مضلٌّ، شيطان مريد في هذه الأُمَّة، حقيق على من يعرفه أن يحذِّر الناس منه، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك.

واعلم رحمك الله أنه لا يتم إسلام عبد حتى يكون متبعًا مصدقًا مسلمًا، فمن زعم أنه بقي شيء من أمر الإسلام لم يكفوناه أصحاب محمد ﷺ فقد كذَّبهم، وكفى به فرقة وطعنًا عليهم، وهو مبتدع ضالٌّ مضِلٌّ، محدِث في الإسلام ما ليس منه» [1].

• **وقال الشيخ ملا أحمد رومي رحمه الله: « فمن أحدث شيئًا يتقرب به إلى الله تعالى من قول أو فعل، فقد شرع من الدِّين ما لم يأذن به الله، فعلم أن كل بدعة ضمن العبادات الدِّينيَّة لا تكون إلا سيئة »[2].**

---

(١) شرح السُّنَّة، للبربهاري، ص (٣٧- ٣٩).

(٢) الإبداع في مضار الابتداع، للشيخ علي محفوظ، ص (٣٠).

• والبدعة مشتقة من الابتداع، وهو: كل شيء أحدث على غير مثال سابق، سواء كان محمودًا أو مذمومًا، يقول ابن منظور: بَدَعَ الشَّيءَ يُبْدِعُهُ، وابْتَدَعَهُ أنشَأَهُ وَبَدَأَه [١].

والبديع: من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها، كما قال تعالى: ﴿ **بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ﴾ [البقرة: ١١٧].

وفي الشرع: البدعة هي: كل ما حدث بعد عصر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (من السُّنَّة التشريعية) فهو بدعة، سواء كانت محمودة أم مذمومة. قال ذلك الشافعي، والعِزُّ بين عبد السلام رحمهما الله، وقد سبق ذكر لذلك.

***

▫ ومن أسباب انتشار البدع:

١ـ جهلُ الناس بحقيقة الإسلام، وبُعدُهم عن سُنَّة نبيِّهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأمر الذي يجعلهم لا يفرِّقون بين السُّنَّة والبدعة.

٢ـ عمل العالِمِ بالبدعة، وتقليد الناس له، وسكوت العلماء عنها، خاصة وإن تقلد هذا العالِم المناصب الدِّينيَّة العامة العاليَّة الرفيعة.

٣ـ تبني الحكام للبدع، ومساعدتهم لأصحابها لتحقيق مصالحهم

---

(١) لسان العرب (٨/ ٦) ـ (٣٥٤).

كما يزعمون.

٤ـموافقة البدع لأهواء بعض الناس ورغباتهم مع غياب الرادع عليها.

٥ـ الرغبة في تحقيق مكاسب ومنافع دنيويَّة وماديَّة أو شهرة وراء التمسُّك بالبدع.

٦ـ تقليد العامَّة للآباء والأجداد، وخاصة هؤلاء الذين ينتسبون إلى الطرق والجماعات المتعدِّدة.

٧ـ عزل الدِّين عن الدنيا، والإسلام عن السياسة، والمناداة بالمدنيَّة تارة، والعلمانيَّة أخرى، والحَداثة ثالثة وغيرها.

٨ـ التَّشَبُّه باليهودي والنصراني، وخاصة بعد أن ازدهرت حضارتهم الماديَّة، وافتتن بها كثير من الناس.

٩ـ وقوع الفرقة والاختلاف في الأُمَّة حتى قاربَت هذه الفرق الثلاثة والسبعين، كما أخبرنا الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١٠ـ طلب العلم لغير الآخرة، لُمماراة العلماء، أو مُجاراة السفهاء، وطلب الدنيا بالدِّين، واختلاط الأعمال الصالحة بالرياء.

١١ـ غياب التوعية والتربيَة الإسلاميَّة، وندرة الأسوة الحسنة من العاملين بالكتاب والسُّنَّة من العلماء الربانيين.

***

▫ **حكم البدعة: البدعة لها درجات:**

١- منها ما هو كفر متفق عليه، كبدعة المنافقين في اتخاذ الدِّين ذريعة لحفظ المال والنفس.

٢- ومنها ما هو كفر مختلف فيه، كبدع الخوارج والقدريَّة.

٣- ومنها ما هو مَعصِيَة، كبدعة التبتل.

٤- منها ما هو مكروه كراهة تحريم: كالاجتماع للدعاء عشيَّة عرفة في غير عرفة.

▫ **عقوبتها:** تختلف باختلاف البدعة: فتارة تكون بالقتل تعزيزًا ولإفساده في الأرض، وأخرىٰ ما دونه من ضرب وإهانة ونفي وتغريم وغيره. ويستحب مقاطعة أهل البدع وهجرهم بعد إقامة الحجة عليهم والبرهان.

***

- **والبدعة** تضاهي السُّنَّة، **والسُّنَّة لغة:** هي الطريقة.

واصطلاحًا: ما جاء عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أقواله وأفعاله وتقريره، ما هم بفعله.

والسُّنَّة: هي حصن الله الحصين الذي دخله كان من الآمنين من الشبهات والاختلافات وهي الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد

وهداه وصاحب السُّنَّة: مستنير القلب، عقل عن الله وأذعن وفهم عنه، وانقاد لدينه، وتابع ما بعث به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصاحب السُّنَّة: مدخله نور، ومخرجه نور، وقوله نور، وعمله نور، ويوم القيامة يسعى بين يديه وعن يمينه النور، ووحيه نور، قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾[الشورى: ٥٢].

ويُشرِق النور من وجهه، ويمشي في الدنيا والنور كالسِّراج المضيء في الظلمة، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾[الأنعام: ١٢٢].

والله عَزَّوَجَلَّ الذي شرع له السُّنَّة وأرسل بها رسوله اسمه: النور، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار كرامته ورحمته نورًا يتلألأ. وبنوره اهتدى أهل السموات والأرض.

والنور في قلب عبده المؤمن كنور المشكاة في المصباح.

- **والخارجون عن طاعة الرسل ومتابعتهم، القابعون تحت مظلة البدع والهوى يتقلبون في عشر ظلمات:**

١ـ ظلمة الطبع. **٢ـ** ظلمة الجهل. **٣ـ** ظلمة الهوى.

٤ـ ظلمة القول. **٥ـ** ظلمة العمل. **٦ـ** ظلمة المدخل.

٧ـ ظلمة المخرج. **٨ـ** ظلمة القبر. **٩ـ** ظلمة القيامة.

١٠ـ وظلمة دار القرار.

فالظلمة لازمة لهم في دورهم الثلاث (الدنيا والبرزخ والآخرة).

***

• **والناس من حيث تمسُّكهم بالسُّنَّة أربعةُ أقسام** فانظر نفسك في أي قسم منهم:

الأول: قبِلوها ظاهرًا وباطنًا، سرًّا وعلانيَّة، يعتزُّون بها ويفتخرون، وبها يتميَّزون وهم: أهلُ الفقه والفَهم والعلم.

الثاني: مَن ردَّها ظاهرًا وباطنًا، وكَفر بها وجحد وأنكر بعضها أو كلها حمله على ذلك: الحسد والكبر وحُبُّ الرئاسة والملك، واتِّباع السادة والكبراء، وهم الكفار.

الثالث: قبلوها ظاهرًا وجحدوا وكفروا بها باطنًا وهم المنافقون.

الرابع: يكتمون التمسَّك بها باطنًا، ويخشون ظهورها، وهؤلاء: إن كان ذلك من أهل دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها ففيه فسوق وعصيان، وإن كان من أجل اضطرار أو خوف من بطش جبار فأمره إلى الواحد القهار، إن شاء عفا عنه وقبل منه، وإن شاء عاقبه، ومردود ذلك إلى نيته وعمله وسلوكه.

***

وفي الختام:

أسألُ الله تعالى العليَّ القدير، البرَّ الرحيم أن يهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يَهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾[آل عمران].

« **اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ».

هذا وإن كان ما فيه من صواب وابتغاء مَرضاة الله والثواب فمن الله وَحْدَه التوفيق، وإن كان فيه عيب أو نَقص أو خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بَراء.

والحمد لله رب العالمين

تم بحمد الله وربنا المحمود

في اليوم العاشر من شهر صفر لعام ١٤٣٨هـ، من هجرة سيد الأنام

محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



مصادر البحث

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير ابن كثير، والقرطبي والسعدي.

٣- كتب السُّنَّة.

٤- تلبيس إبليس، لابن الجوزي.

٥- شفاء الصدور، لمرعي يوسف.

٦- البدايَة والنهايَة لابن كثير.

٧- تاريخ الخلفاء للسيوطي.

٨- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

٩- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.

١٠- إغاثة اللهفان لابن القيم.

١١- الاعتصام للشاطبي.

١٢- تحذير الساجد للألباني.

١٣- أحكام الجنائز للألباني.

١٤- الزواجر للهيتمي.

١٥- جريدة الأخبار المصريَّة.

١٦- سِجِلَّات دار الإفتاء المصريَّة.

١٧- الإبداع في مَضارِّ الابتداع، على محفوظ.

١٨- تطهير الاعتقاد للصنعاني.

١٩- مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٢٠- الآداب الشرعيَّة لابن مفلح.

٢١- اجتماع الجيوش الإسلاميَّة، لابن القيم.

٢٢- كتب للمؤلف.

٢٣- كتب الشيخ/ السيد عبد المقصود، وقد نقلت واستفدت منها كثيرًا في هذه الرسالة، ومنها:

أ- القول المنضود من بدعة تحرِّي الدعاء عند القبور.

ب- الاستعاذة بالغفور من بدعة بناء المساجد والقِباب على القبور.

ج- رفعُ الستور من بدعتي النَّذْر والذَّبْح للمقبور.

د- تحذير المسلم الغيور من بدعتي التمسُّح وتقبيل القبور.

***

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

* * * *